المعاني الفلسفية

في الجمال والقيم العليا

بقلم الاستاذ صلاح الدين المحايري

لابد للباحث في مصادر الفن الاولي أن يعالج الفوارق بين (١) الجمال (٢) والخير (٣) والحقيقة ، وهي القيم السامية التي تحفز البشرية الى الوثوب من هوة الحيوانية الساحقة الى ذروة الانسانية العليا وتحقيق الاحلام المجنحة التي كانت وما زالت تطوف في رؤوس المصلحين والطوبويين على سطح هذا الكوكب فيستطيع بهذه المقارنة أن يرسم في مخيلته حدودا سوية للقيم الثلاث . فاذا كانت الحقيقة ينبوعا صافيا يرده الفيلسوف والعالم ليرويا ظمأهما للمعرفة الخالصة ، وكان الخير سبيلا قويما لارضاء الحافز الاجتماعي او دافع القطيع - كما يقول علماء الاجتماع - وهو حافز جوهري رسيس في نفس رجل الفضيلة ، فالجمال باعث (بنائي) تأملي مجرد من شوائب الحيوانية منطلق من قيود الضرورة . ويقول الفيلسوف المعاصر (الكسندر) في كتابه (الفن والغريزة) : « ان الحافز الجمالي وما يقترن به من شعور نوعي خاص يتولدان من الميل الانشائي في الحيوان بل هما تلك الغريزة البنائية البدائية تتجاوز طور الحيوانية الى نطاق الانسانية ثم تغدو تأملا صافيا لاتلابسه المنافع والقيود » .

وجدير بمن يبحث في نشوء القيم وتطورها أن يدرك ماللعقل والوسط ولا ريب أن الجمال الذي يتمثل في قوالب الفن وصيغه أو في رحب الطبيعة وفورات المشاعر يقف موقفا وسيطا بين الحقيقة والخير (١) فالحقيقة ممثلة في العلم ظاهرية موضوعية تسيطر فيها ظاهرات الطبيعة الاولى فتخضع العقل لقوانينها المحتومة (٢) والخير حافز باطني ارادي يحاول أن يفرض نفوذه في الكون الخارجي وينشد في رحبه دنيا جديدة رفيعة من صنع يده المحسنة (٣) أما الجمال ممثلا في الفن وغيره فقوامه ثنائية متوازنة بين الذات والموضوع لايطغي فيها أحدهما على الآخر ، وهو في هذه الثنائية ذاتي باطني اذ تتآلف وتنسجم عناصره المستمدة من الانطباعات الكونية والنفسية في صميم العقل الباطن وهو ظاهري موضوعي حين ترتسم معانيه ومشاعره واهتزازاته في ألفاظ وقوالب وخطوط والوان وأنغام متسقة ماثلة للحس والعيان .

غير أن هذه الفوارق السطحية لاتصل الى الاغوار وينتظم القيم الثلاث جميعها تماثل متغلغل في كيانها لأن (الحقيقة) ليست نزوعا فكريا وادراكا عقليا للواقع فحسب بل هي فهم ذاتي لعالم الوعي الخفي (اللاشعور) أيضا ولذا فهي تضم في تضاعيفها (الخير) و (الجمال) كما تضم عناصر وأجزاء مباينة لهما وهذا المصدر المشترك للقيم الثلاث هو مفتاح الصلات بين الفلسفة والجمال بل هو المنهل الصافي الذي تصدر عنه الحياة والفن معا .

ونرى لزاما علينا هنا أن نذكر بعض مواضع الاشتراك والافتراق والتبادل بين الفلسفة والفن :

يقترن مدلول « الفنون الجميلة » في الذهن بتلك الآثار الانسانية الخالده من قصائد ولوحات وتماثيل ومبان وألحان موسيقية .. الخ وهي قوالب وصيغ يصب فيها رجال الفن ذوب قلوبهم وكوامن نفوسهم وما نقش في أفئدتهم من انطباعات الكون الرحيب فتغدوا ألهيات

رفيعة وأوثانا قسيمة ينعم بفنونها عبدة الجمال وينشدون في ظلها ومضات عابرة من التأمل تنطلق فيها الافراح من أوزانها لاتلابسها قيود الضرورة وأغلال المنفعة • وليست الآثار الفنية سواسية في التحرر من تلك القيود والاغلال فالبناء يشيد ليصبح مثوى يفيىء اليه المرء في سكنه وراحته والاناء يصب ليكون مثابة تلبث فيها الزهور الندية سويعات قبل أن تتناثر أوراقها وتذبل كؤوسها ولكنهما حين تتآلف خطوطهما وتزهو نفوسهما وتنعكس فيهما رؤى الفنان المعمار وأحلام الصانع الماهر يتجردان من شوائب النفع وينعتقان من وثاق (الارادة) العمياء التي تخيلها (شوبنهور) دافعا خفيا أزليا يقرر مصائر أبناء الفناء ويسدد خطاهم بأقدار محتومة لايستطيعون انفكاكا منها لاستنشاق نسمات الحرية البليلة الا في غمرة من رؤى الفن تعنو فيها (الارادة) للتأمل المبهج • وأكثر ما يكون المرء انطلاقا من أسار الارادة وقيود المنفعة في درر الشعر وفواتن الرسم والنحت والمثالة وروائع اللحن والغناء اذ هي مفترقة عن العمارات الشامخة والاواني المنقوشة وما شابهها في قيمها الجمالية الصافية وفي خلوها من أوضار الفوائد المادية •

لاريب أن كثيرا من الآثار الفنية خالية في أغوارها من المعاني الفلسفية وهي لذلك ، لاصلة لها فيما تهدف اليه في تفهم ماهيات القيم والروابط بين الفن والفلسفة فثمة لوحات تؤلف في جوهرها أنماطا من الخطوط والالوان لايبين القصد فيها وقصائد وقطع موسيقية تنتظمها جميعا سلسلة ايقاعية متعاقبة من الجروس والاوزان والانغام تكاد لاتفصح عن غاية معينة ومع ذلك (كما هو الحال مثلا ، في نماذج الشعر التأملي والخلقي) واذا كان الكثير من ثمار الفن الجميل سطوحا ومظاهر لا أعماق لها ، وكانت نماذج حسية وانعكاسات ضوئية وانطباعات سمعية بحتة ، فالآثار الخالدة تمعن قصيا في الاغوار وتنفذ الى المعاني المسترة في الباطن • زد على ذلك بأن الجمال في الصور الحسية أو الاثر الذي لايتعدى تخطيط المظاهر السطحية ليس وسيلة أو (ظاهرة) نسترشد بها لمعرفة العناصر الأولية في اللوحة او القصيدة فحسب — كاللون الذي تطلى به اللوحة والوزن القافية اللذين تنظم بهما القصيدة بل هو أيضا (قيمة) يكتشفها المتأمل البصير في الاثر الماثل لناظريه • ومن الحقائق المشاهدة المأثورة في فني التصوير والنحت أن التمثال واللوحة في تمثيلهما الاشياء والكائنات الطبيعية يتحليان بصفتين مختلفتين (١) فقد يعرضان لنا حوادث وأوضاعا معينة تغنينا عن الوصف اللفظي وأية ذلك مانراه في الكتب والاسفار الحديثة المختلفة من صور ولوحات يعتاض بها المؤلفون عن التبسط اللفظي في سرد الحوادث والافاضة في وصف تفاصيلها (٢) وقد يمثلان لنا وضعا لايؤبه له وحادثا غير خطير في ذاته ولكنهما بالرغم من ذلك يهزان كوامن نفوسنا ويؤثران في شعورنا بما يشيع في أجزائهما من الروابط الشكلية المنسجمة كما هو الامر في البناء والموسيقى ، فالانطباعات في الحالة الاولى تثير في صفحة مخيلتنا مشاعر وتجاريب نعانيها في الحياة الواقعية ، فلوحات الحب ومناظر القتال الدامية تماثل ذكريات عاطفية منقوشة في عقلنا الباطن لاتتجاوز حوادثها ومحتوياتها الحدود التي ترمز اليها الخطوط والظلال والالوان الماثلة أمامنا أما الموسيقى والتصوير في شكلهما الصافي فلا يثيران في النفس تجربة معينة وشعورا محدودا بالرغم من الروابط الجاذبة التي تصلهما بعواطف السامع أو المشاهد • وهما يتميزان بما يطبعان في النفس من احساسات مبهمة وأغلب الظن أنهما يستمدان عناصرهما الاولية من قرارة النفس وطوايا العقل الباطن • وثمة آثار فنية تجمع بين الحالتين فهي تمثل أوضاعا معينة وحوادث زمنية محدودة تتخللها جميعا بدوات غائمة وأخيلة مبهمة تنبع من دخيلة الفنان وهي دخيلة وعرة المفاوز بعيدة المنال يحجبها عن النظر قناع جسدي صفيق تتسرب من خلاله اشعاعات باهتة يستشفها النظر الحديد والبصيرة النافذة وتبقى دونها ظلمات كثيفة بعضها فوق بعض وللقارىء أن يمعن في هذه الآثار الاصيلة جميعا وأن يجيل ناظريه في تفاصيلها

تضامن الانسان والطبيعة

بقلم : الدكتور عبد الكريم اليافي

بين الانسان والطبيعة تضامن عميق برغم الجفوة التي قد تبدو منها والتناقض الذي قد يظهر بينهما • هـذا التضامن ينظر اليه من وجوه عدة • قد ينظر اليه من ناحية الامتاع الفني ، وعندئذ يبدو أقوى مايكون • فمما لاريب فيه أن الطبيعة والارض والسماء كلها جميلة ، تطالعنا بألوان من المحاسن وأنواع من الزينة وصنوف من الامتاع لاتنفد • فالقمر والنجوم والكواكب ترصع وجه السماء وتتلامع بسناء يمتـع القلوب براوئه ويستهوي النفوس بلألائه • وهي منثورة على أديم الليل كأنها قلائد من جمان على عروس من الزنج كما يقول أبو العلاء المعري • بل انها تستأسر الفكر وتستغرق الخيال حتى كأنها طلاسم غامضة أو رموز الى اسرار مجهولة في العالم اللامتناهي • أو هي تبدو في بعض الاحيان زهرات من الزنبق بيضاء ناصعة في حقول مستوية من الاثير الازرق المحولك أو هي طافية في بحر من السديم العميق • ونهر المجرة يجري متدفقا من قديم الازمان ومتعرجا بين أبراج النجوم الزهر ومصعدا الى أعلى السماء تواكبه الاحلام وتجري معه الاوهام بعيدا بعيدا حتى تنحسر ناصبة لاغبة •

وعالم النهار ليس أقل فتونا من عالم الليل • شمسنا الام القديمة الاولى الرءوم تنير عالمنا الارضي لتصافح أبصارنا فيه بهجة الالوان أصباغها من كل نوع ودرجة ولكي تتأمل الكائنات على اختلاف اشكالها واصنافها ومقاديرها من جماد ونبات وحيوان ولكي يرى الانسان صورته في مرآة نده وصنوه الانسان • ودنيا الالوان والانوار حافلة كذلك بالمتع والزينات في اشراق الصباح وتألق الضحى واستواء النهار وطيوف الاصيل والغروب والشفق ، وفي أحوال الدجن والمطر والصحو • والازهار والنبات والاشجار كون مترف بالنعيم والظلال والاصباغ

وهو لابد عاثر وراء هذه الظلال والالوان والمعالم على قيم علوية تشيع في نفوس رجال الفن الافذاذ وتعزف بهم عن رتابة الحيوانية الدميمة ومسالك الآلية الجامدة •

ولا شك أن المذاهب الفلسفية التي تغضي عن الجمال وروائعه وتشيح بوجهها عن التخيل والانفعال الحالم وترى في الابداع الفني والتمتع بآثار الفن ظاهرات عرضية تجاوز الجوهر الاصيل هي مذاهب مصطنعة ناقصة لاتتغلغل جذورها في أعماق الحياة •

ويقول الفيلسوف الشاعر (سانتيانا) : « البحث والفكر في الفلسفة جزءان تمهيديان فرعيان ووسيلتان لغاية معينة فهما ينتهيان بالرؤيا الباطنية أو يسميان (بالنظرية) وفقا لأسمى المعاني المنطوية في هذه الكلمة – والنظرية هي التأمل المستمر للاشياء جميعها في نظامها وقيمها ، وهذا التأمل تخيلي بحت ، ولن يستطيع بلوغه امرؤ تهاون في توسيع عقله وقصر في ترويض قلبه • واذا بلـغ الفيلسوف ذلك المدى فهو شاعر في دقيقة عارضة أو نفذ الشاعر بخياله الجائش المضطرم الى نظام الاشياء جميعا أو أي شيء في ضوء الحقيقة الشاملة فهو فيلسوف في هنيهة عابره » •

ولعمري ان الصلة التي تخيلتها الاساطير الاغريقية بين آلهة الفن وسدنة الجمال في قمم الاولب وبين أفذاذ الفكر والفلسفة وانصاف الآلهة على وجه هذه البسيطة هي صلة الدماغ بالوتين النابض دون انفصامها ببرودة الموت وخمود جذوة المعرفة •

صلاح الدين المحايري

وتدع بالرحيق والطيوب وكلت به النحل والفراشات والطير فهي أبدا هائمة به حائمة حوله حالمة في اجوائه مشتارة لرحيقه ، عبقة من طيوبه •

ثم السهول والجبال والوديان والرياض والفياض والغابات والشسلالات والصحاري والبحار والانهار كل ذلك في مختلف آناء الليل والنهار ينبوع متاع فني لاينضب للمشاعر المتفتحة والنفوس المتحفزة والقلوب الظامئة والعقول المفكرة •

وهيهات هيهات في هذه الفقرات الخاطفة أن ألخص عالم الطبيعة الزاخر بالمفاتن والزينات • بلى كأن الطبيعة تبدو للمتأمل متحفا واسع الجنبات غير محدود يشمل آثار جميع الفنون قديمة وحديثة قريبة وبعيدة ، معروفة ومجهولة واضحة ومبهمة ظاهرة وباطنة • كل تحفة تستحق أن يكتب كتاب كامل في محاسنها ومفاتنها • ان اكثر المفكرين قد نوهوا بقيمة الطبيعة الفنية وبأصالة الجمال فيها • حتى المتشائمون منهم لم يستطيعوا أن ينكروا مافي الارض من متع فنية ومحاسن ساحرة ، وان كانوا ينظرون اليها نظرات خاصة تعمد الى التأويل والتعليل ، وقصاراهم أن يدعوا أن محاسنها مسحة لا أصالة وراءها وطلاء يستر خزيا وقبحا ـ ولكنهم مع ذلك يثبتون مسحة الجمال وطلاء الزينة فهم أمثال أبي تمام الذي يقول عن الدنيا حين لم يكن راضيا :

لو بدت سافرا أهنيت ولكن
شغف الناس حسنها في النقاب

اذن التضامن بين الانسان والطبيعة من الوجهة الفنية أمر راهن لاسبيل الى انكاره •

وكذلك التضامن بين الانسان وبين الطبيعة من جهة المعرفة والتأثير • فلا شك أن الانسان قد نجح دائما منذ تكوينه في محاولته تفهم ظواهر الطبيعة وتبين خصائصها وصفاتها وعلاقات بعضها ببعض • والدليل الواضح على ذلك نشوء العالم وتقدم الانسان في هذا الميدان هذا التقدم الكبير •

وكما أن الانسان زاد مفاتن الطبيعة بالفنون الراقية التي أنشأها وأبدعها كذلك زاد الانسان غنى الطبيعة بالتركيبات التي اخترعها والادوات التي أعدها والآلات التي سخرها •

الانسان قرض الشعر وألف الموسيقى وغنى وناح ورسم وصور وبنى ورقص وأضاف الى هذه الفنون السينما وأمثالها • ولكنه من جهة ثانية صنع الفأس والسكين والدولاب والبكرة والرافعة وأضاف الى المواد الكيماوية التي في الطبيعة مواد لم تكن لتوجد فيها لولاه • ولم يكتف بذلك بل استثمر طاقات الطبيعة المخزونة في المياه والبخار والنفط ثم درس أجزاء المادة الدقيقة وأخذ يتفهم مكنونها ويتصرف بما فيها من طاقة جسيمة • ثم نشاهده في العصر الحاضر لا يكتفي بعالمه الارضي فهو يعد العدة لغزو الفضاء والوصول بعد القمر الى السيارات • ونجاحه المتدرج المستمر في هذا الميدان يشير الى قدرته على معرفة قوانين الطبيعة وعلى تبين تركيبها وماهيات ظواهرها • ولولا هذه القدرة لظلت أسرار الطبيعة مغلقة دونه ، وخيراتها مستورة عليه ، وطاقاتها متوارية عنه • لولا ذلك لما استطاع ان يقرب البعيد وأن يدني الشاسع ويظهر الخافي ويقرأ الماضي ويتوقع المقبل ، ولا استطاع ان يطير كالعقاب ويغوص كالحوت ويمشي على الماء كالسيد المسيح • وقدرته في هذا المجال مجال العلم والمعرفة هي التي وطدت خطاه في ميدان الانتاج والصناعة ، وهي التي جعلته سيد الكائنات في الارض والمسيطر عليها والمسخر لها • فالانسان هو أمير تلك الكائنات غير منازع تبدأ أمارته هذه بنبل العقل الانساني الذي هو قبس من نور الله • فبالعقل والرأي استطاع الانسان ان يتجرأ على أسرار الطبيعة ويتوغل في تفهمها ويسيطر عليها • وقول المتنبي صحيح في هذا الموضوع :

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهي المحل الثاني

وبهذا التضامن بين الطبيعة والانسان نما النوع الأنساني وكثر وامتدت سلطته الى الآفاق وسد على بقية الانواع الحيوانية السبل الا ماواءمه منها وناسبه وأرضاه فاشرف

عليه واستغله وسخره لنفسه وأوقع حتى نموه وازدياده تحت سيطرته وارادته ، وكافح الادباء والآفات والحيوانات الضارة ، وعمر الارض ومازال يعمرها يمتد سلطانه كل يوم الى أعماقها وأعاليهاقريبها وبعيدها يسيرها وصعبها دانيها وقاصيها .

ومن يطالع تاريخ النوع الانساني من جهة الاتساع يعجب لهذا النمو المستفيض . ولقد حسب العلماءفوجدوا أن الناس كان يناهز عددهم خمسمائة مليون نسمة قبل ثلاثمائة سنة وهم اليوم يزيدون على مليارين ونصف المليار أي قد ازدادوا أكثر من خمسة اضعافهم على رغم الآفات والحروب والكوارث الطبيعية والاجتماعية .

ان الطبيعة تبدو صماء لاتسمع وعمياء لاتبصر وبكماء لاتنطق ولكن الانسان هو سمعها الذي به تسمع وبصرها الذي به تبصر ولسانها الذي به تنطق . انه هو الذي يضع لها بالعلم سمعا وعينين ولسانا وينظمها ويوجهها . قد تجور عليه أحيانا بعواديها وتقلباتها وقد تشح عليه بخيراتها وغيثها ، ولكنه يبقى هو المسؤول عن صون نفسه من عواديها ، وعن توزيع خيراتها توزيعا يتلافى اضطرابها وتقلباتها . وذلك بما وهب من عقل ومنح من تدبير وزود من تفكير . والدليل أن المجتمعات تختلف في مدى قلة تعرضها لآفات الطبيعة ولكوارثها وآثار شحها واسرافها بمقدار تقدمها وتنظيمها .

نحن اذن نؤمن بالانسان وبالعقل الذي هو قبس من نور الله . على أن الانسان نفسه انما قيمته بالعقل الذي امتاز به واختص بفضيلته . ولو انه اهمل هذا القبس الالهي لما كان بينه وبين الطبيعة والحيوان من فرق . بل انه في بعض الاحيان لقلة هدى غريزته قد يكون أضعف من الحيوان .

الا أن العقل في الانسان ليس مجرد فطرة . بل هو كسب أيضا يستفيده بالتعلم والتثقيف . وهنا يبدو دور المجتمع واضحا وتتجلى مكانة التراث الفكري الانساني بارزة في هذا المضمار .

الخلاصة أن تضامن الانسان والطبيعة حاصل من جهة الامتاع ومن جهة المعرفة .

أما تضامنهما من الوجهة الاخلاقية فان الشر مبثوث في الحياة الى جانب الخير . ولانستطيع أن نعلل وجود الشر ولا أن نبين وظيفته لأن تعليله وبيان وظيفته عبارة عن تسويغه وتبريره . وهذا يؤذي الضمير الخلقي في الانسان اذ كان عليه أن ينكر الشر ويأباه ويتلافاه . وكما أن المسافر يهتدي بنجم القطب في الظلام الدامس ليتعرف الجهات الاربع ، كذلك الانسان في بحر الحياة المتلاطم الامواج يجب ان يهتدي في سلوكه بسنا المثل العليا المتلاحم .

الدكتور عبد الكريم اليافي

فختة ...

لمحات عن حياته

هذه مقدمة في حياة فختة تمهيدا لنشر خطاباته في اعدادنا القادمة .

مات في ٢٩ كانون الثاني ١٨١٤ . لماذا بدأت بموته على غير سنة ؟ هذا لأن تآريخ بعينها في حياة الناس ، تكون منطلق اعطائهم قيمهم ، وادخالهم سجل البقاء .

ولئن كان فختة قد اعطى ذروة ما أعطاه ، في حياته ، خلال عام واحد ١٨٠٧ – ١٨٠٨ أي قبل موته بست سنوات ، ولئن اضحى عام ١٨٧١ صنما في نظر الشعب الالماني ، ولنسمه أمة حسبما أراد له هو . فان عام ١٨١٤ يظل ، في رأيي على الاقل ، يمثل حدا فاصلا في تقدير الفكر الذي أشعه فختة ، حق قدره .

رجل واحد ، يصمد ، في لحظة ، ينهار فيها شعب بأكمله . خمسة عشر مليونا يتهاوون ، يتخاذلون تسكرهم لفظة ، يخدرهم اسم ، يتفاخرون بأنهم حلفاء لفاتح . ورجل واحد ، يعيد بناء أمة ، يرذل فاتحا ، يحطم وهما وهما كبيرا ، اسمه نابليون .

رجل حقيقي ، يقف وحده في قاعة المحاضرات في اكاديمية برلين ، يقف وكأنه الطود . ليزلزل اساطير ، ويحطم معتقدات ، ويجلو زيفا ، ويبعث أمة .

استاذ جامعي ثائر ، يطرد من جامعة (يينا) فيرحل الى برلين ويقيم فيها بالامال ، وباعمال ، وبالاصدقاء . كان فقده كرسي الفلسفة في يينا ١٧٩٩ يعتبر في نظره أمرا طبيعيا . هكذا الاقوياء . أبدا يلقون مقاومة ، أبدا يعذبون ، يطاردون انها مقاومة نراها أبدا في كل زمان ومكان . التاريخ نفسه يعد لنا اسماء . ارسطو ، جاليله ، المعمدان ، عيسى ، بولس ، وكثيرون كثيرون ، لحتى تضيق السجلات .

ويعرض عليه كرسي الفلسفة ثانية في ارلانغن عام ١٨٠٥ لكنه مايكاد يهم به ، حتى تندلع الحرب ، ويدق نابليون اعلامه في اسابيع ، على شوامخ المؤسسات في بروسيا . وحتى يسحق البروس ، سحقا ، لم يحدث بمثله ، ويهرب هو الى كونغسبرغ ، ويكلف على أحد رادة الفكر السياسي في العالم ، صاحب كتاب « في الامارات » ماكيافلي ، فيأنس اليه فصلا وبعض الفصل يرى في نظرياته ، وفي آرائه ، برءا ، ولما يحل ببلده هو لكنه فيلسوف ، فكيف يتخلى ؟ ألا يرى حالهم ؟ أجل ، اذن فلتذهب الفلسفة الى الشيطان ، أو فليعقد معها هدنة ، وليودع حماقات الفلسفة .

ثم مانفع الفلسفة بلا قوة . يالروعة ماكيافلي وآرائه . في علاقات الدولة شيء واحد له قيمة ، عفوا ، بل شيئان ، القوة ، ولو بلا حكمة ، والبقاء ، السلامة ، وهذه غاية وفي سبيلها ، كل شيء ، كل وسيلة مبررة ومقبولة واخلاقية .

تحرير الوطن أولا . ثم اللعنة على الثورة الكبرى ، الثورة الفرنسية التي اطلعت فاتحا لا انسانيا اسمه ، نابليوني ، لشد ما كرهها هذه الثورة ، لشد ما قبح لا انسانيتها ولا اخلاقيتها .

اذن فلابد من دعوة جديدة ، رسالة ، رسالة لا تختلف والرسالة الفلسفية ، لكنها ضرورية لها ، انها تمهيد المانيا اولا ثم تحقق الدعوة الانسانية ، لكن ليعلم منذ الآن أن الذي سيحقق الدعوة الانسانية هي المانيا .

هناك عقبات ، وقد لايفهم الناس . وقد لاتجد الدعوة الاولى ، (المانيا أولا) صدى محببا ، وقد لا يستجيب الناس بسرعته الى المقاومة ، طالما أن هناك سحرا ، وساحرا ، اسمها القوة ونابليون .

لكن الداعية ، وكان يومها في الخامسة والاربعين ،

كان واثقا من نفسه ، من قوته ، أو أنه كان يعرف أن دربه مليئة بالشوك ، ولابد له من أن يتخطاها ولو على حساب حياته ، فالاخلاص للنفس أولا ، ثم ان الامر واجب ، بل هو حق (ذاك أن نوعية بروسيا وتوحيد المانيا ، ليس واجبا علي أنا ، وانما هو حق يستطيع أي كان أن يطالب به) هذا كان جوابه لمن سألوه ، لماذا وقفت في المقدمة ؟

تقدمت لأن أحدا قبلي لم يتقدم ، ولابد في كل عمل وفي كل شأن من أول • وفي استطاعة أي انسان أن يكون أولا • كان متواضعا •

اصدقاؤه اشفقوا عليه ، خافوا على حياته ، من المحتمل ذاك أنه يوم بدأ في القاء خطبه على الشعب ، في الاكاديمية كان أبدا يمتزج صوت احذية الفرق المارة ، وقرع طبولها ، بصوته الهارد المعنف الباعث • كان صوت المحتلين يطغي على صوته ، وكان يخشى عليه من الجواسيس ، بل ان خوف اصدقاء فخته عليه ، كان له مايبرره : فقد رأوا بأعينهم صاحب دار نشر أصدر نشرات معادية للمحتل ، رأوه وهو يعدم في الساحة أمامهم •

لكن فخته ، فخته الشامخ أبدا ، كان يجيب اصدقاءه : أنا لا افعل غير ما اعتقد أنه واجبي •

أما المحتلون فكانوا لايفقهون شيئا ، اللهم غير أن استاذ جامعيا يلقي محاضرات عنوانها (تحسين الثقافة) مجرد دروس تعطى على يد استاذ •

كانت السلطات المحتلة قصيرة النظر ، مع أن السلطات البروسية نفسها كانت تخشى رد فعل الفرنسيين فكانت الرقابة البروسية ، تتردد كثيرا في منح الاذن بطبع الخطب النارية • ثم ان الأنكى من هذا ، أن الرقابة نفسها ، أتلفت مخطوطة خطابه الثالث وزعمت أنه ضاع والخطاب الثالث هذا ، كان صكا ، أو فلنقل حكما ، صلب فيه فيخته ، نابليون هذا (العبقري) الكبير ، الذي كان يدعي انه (مدير شؤون البشرية) ، وأضاعت ايضا المخطوطة الثالثة عشرة ، ولم تأذن بطبع الرابعة عشرة الا بعد ان ادخل عليها فخته تعديلا •

أما عدد الخطب فكان أربعة عشر أما اسم المجموعة التي ضمتها (خطب الى الامة المانية) •

أما الحديث عن هذه الخطب وابراز ماجاء فيها فستنشر في اعدادنا القادمة في وقت قريب •

هيئة التحرير

مدلول اللفظة وامتداده الفكري

بقلم : وليد مدفعي

يدرك العقل الافكار من خلال الالفاظ ، وان الفاظ اللغة هي ظروف المعاني كما قال أحدهم • لكن ماتحمله كل لفظة من مفهوم ، ليس سوى انعكاس لحركية دماغية مسبقة ، تعيد وجودها عند اعادة اللفظة • فاللغة نتيجة من نتائج الفكر المنطقي ، وشرط من شروطه كما يقول لاكروا • وينموالفكر واللغةويرتقيان معا بارتقاء الحياة الاجتماعية وانبثاق الافكار وتجدد الانظمة •

هذه تجريدات سريعة عن العلاقة بين اللغة والفكر • لكن امكانية ادراك المعنى من خلال اللفظة ليست محققة وسهلة فيما اذا تغيرت البيئة ، واصاب الافراد تبدل حياتي شامل ، وهي نفسها لها علاقة وشيجة مع ما يملكه الفرد من عقل نير قادر على التصور وسليم الذاكرة وذي خيال متوقد ، او مايمكن ان نجمله بعبارة « الاستعداد الذهني الشخصي » هذا الاستعداد الذي يلعب دورا كبيرا في الادراك بداهة او بعد جهد او لايدرك بتاتا من الالفاظ غير الاشكال الجامدة •

انما يخص البيئة سهل واضح ، فاننا لانستطيع مهما حذقنا في فهم المعاني واستقصاء الاخيلة ان نصل الى اغوار صورة من صور الفكر الجاهلي فنحييها في فكرنا ونستمتع بها ونتجاوب مع صورة لشاعر محدث ، قد حمل الفاظه معاني عصرية لانزال نعيشها اليوم بصخبها او بحلاوتها أو بأي لون ولو انه باهت •

ان وجود عدد كبير من الالفاظ في وصف الرمح والسيف والناقة الحمراء والصفراء وما شابه يدل على أن اللغة العربية كانت لا تزال في تلك العهود ، تحمل شيئا من البدائية فهي لم تتخلص حتى ذاك الوقت من اللفظة الضيقة الافق ولم تخرج الى شمول واسع بواسطة عمليات التجريد والتعميم واكتساب المفاهيم العقلية الواسعة •

ان جهل شباب اليوم ، للالفاظ ذات المعنى الضيق ليس جهلا يعابون عليه او نقصا في الثقافة فما اسهل أن نستخدم في التعبير عن فكرة « لفظة » ذات شمول واسع ثم نضيق افقها « بصفة » تضيق من شمولها • فعوضا عن استخدام « كرواء ـ مصواء ـ مدشاء » في وصف المرأة يمكننا ان نستخدم الفاظا أخرى فنقول انها كانت دقيقة الساقين ونحيلة الذراعين •

ان الالفاظ الثلاثة التي اوردتها ليست اغناء للفكر انما تجميدا له في قوالب ومعايير ثابتة وهي كما قال ريبو : « تقف عند ابسط المشابهات وتقصر عن بلوغ التعميم الواسع » •

وما أكثر الالفاظ ذات الشمول الضيق في فقه اللغة التي اندثر استعمالها ولا يمنح احياؤها الفكر الا ارهاقا وفهما حسيا جامدا •

انني لم‌اتعرض الى هذه الوجهة الا لانني تتلمذت خلال دراستي على اساتذة كانوا يحاولون فرض قوائم من الالفاظ العتيقة التي علاها غبار الزمان ، فكانت صعبة التصور وصعبة الحفظ في آن واحد • فاضعنا وقتا تمنيت لو صرف في طلب اشياء أكثر فائدة فلم يغن الطلبة حتى اصحاب المواهب الادبية ان يستظهروا اسماء الطقس في مختلف ساعات النهار والليل او اسماء الاحجار التي تطحن الذهب او تلك التي تستخدم في دق الاشياءالصلبة أو سحق الصمغ وغيرها من الالفاظ السقيمة •

ان هذه العملية ليست احياء للتراث العربي وليست من الايمان والعمل من أجل الوطن ان نحشو الاذهان بكلمات ليست ذا تشمول • انه ضياع جهد وعمل سلبي ضد التطور والنهضة ومحاولات الابداع ووقف لامكانات الفكر الخلاقة •

فالفكر المبدع هو الفكر الذي اعتاد منذ الصغر عمليتي

التجريد والتعميم لادراك المفهوم وتصوره وثم استعادته لجزئيات الحوادث •

قال هاملتون : « ان اكثر المعاني شبيهة بالشرر لاتومض الا لتغيب ولا يمكن اظهارها وجمعها الا بالالفاظ » • لكن السؤال الذي لابد منه حول هذا القول هل تستطيع اللفظة ان تعيد المعنى كاملا ؟••

ان اللغة واسطة نقل الافكار بين الناس •• انها تحمل المعاني •• انما هل تستطيع الالفاظ ان تعيد ذات المعاني بدقة وامانة ؟ لقد تكلمت في بدء حديثي عن الاستعداد الشخصي الذهني واقول الآن ان الامانة ليست متوفرة مطلقا • وتعود اسباب الخطأ الى عدة امور تنتسب كلها الى ذلك الاستعداد الذهني الشخصي •

يتحدث انسان عن افكاره مستخدما مجموعة الالفاظ التي تم له الحصول على مفهوم مدرك واضح لها •ويسمع الفاظه انسان فيحاول فهم افكاره حسب مالديه من المفاهيم المدركة الواضحة لتلك الالفاظ • اننا لانستطيع ان نجزم في أية حال من الاحوال ان المفاهيم والصور في ذهن الاول هي ذاتها في ذهن الثاني لأن مدلول الالفاظ عند الاول ليست كمدلولات الالفاظ عند الثاني فحدوث الخطاء أمر حاصل أما لاستخدام المتكلم كلمات حملها أكثر من مدلولاتها او لتصور السامع مدلولا اوسع مما قصده المتكلم ويرجع ذلك الى وجود ظرفين قديمين تم خلالهما تثبيت مدلول الكلمة في فكر كل من السامع والمتكلم •

انني اتحدث عن المفهوم ولا أحب ان يخلط أحد بين المعنى الاولي الذي تحمله الكلمة مجردة كما نصادفها في قواميس اللغة وبين موقعها في الفكر ، لأن وجودها في القاموس ليس اكثر من انطباع جامد اما وجودها في سلسلة الفكر فهو الذي يجعل مضمونها حاضرا في الذهن ويبعد عنها الآلية والببغائية •

اضرب مثلا توضيحيا في هذا المجال ان مضمون كلمة « عنف » لدى انسان كان في جحيم الحرب وسمع زميلا له يردد « كانت معركة عنيفة » اوسع بكثير من مضمون الكلمة ذاتها لدى انسان عاش في المدينة وتعلم الكلمة عندما شاهد اصطداما وقال الناس « اصطداما عنيفا » •

واسوق سوء التفاهم بين الناس في خصوص الالفاظ برهانا ساطعا على اختلاف مدلول الالفاظ في الاذهان هذا الاختلاف الذي يشتت الافكار في جهات متضاربة فيدور المتحدثون ضمن دوامة الفكر ذاتها دون اتفاق وترتفع الاصوات عاليا كل منها حسب امكانية اللفظة عند صاحبها•

يقف التذوق الادبي امكانية مهمة في بعث اداب أمة من الامم واستمرارها لكن التذوق الادبي له علاقة بمدلول الالفاظ وفهمها فهما غير جامد ولا صلة له بالقواميس ولقد اغفل المدرسون عملية التجسيد واطلاع الطلاب على الآداب حسب مقتضيات الحياة لايصالهم في رحلة التذوق الى مرتبة تتسامى تدريجيا في سلم الصعود والارتقاء •

ان خلق ذوق أدبي لدى الطلاب الذين يؤلفون مجموعة القراء في المستقبل له من الخطورة والاهمية حيث يحتاج الى اعادة النظر والى تدقيق واهتمام بالغين فيما يقدم للطلاب من الاداب الفكرية الجمالية في الشعر والنثر •

اذكر انني استظهرت في صغري ابياتا مفروضة لم افهمها أبدا ولم أحسها ، لا لأنني كنت صغيرا • وانما لأنني لم استطع ان أعيش جو القصيدة حتى اني صرت انظر الى الشعر كمادة جافة • وما اكثر الذين كرهوا الشعر في مطلع حياتهم ولازمتهم الكراهية في كبرهم •

ان اعادة النظر وترتيب المستويات والاستعانة بلوحات تاريخية وجغرافية تمثل بيئة الشاعر ، وعرض افلام مصورة كل ذلك يوصلنا الى خلق مدلول لفظي صحيح يكون واسطتنا لخلق التذوق الادبي ، وليس من ضرورة أبدا أن نبدأ بالشعر الجاهلي على انه الصورة الاولى للشعر عند اجدادنا ونتنقل منه بل الاصح ان نؤخر الشعر الجاهلي حتى يملك الطلبة ذوقا ادبيا يفسح لهم مجال التقاط الصور القديمة كاملة • ولنذكر دوما أن الاطفال يهوون حفظ الاغاني في الحضانة ويلتقطونها سريعا فرحين بما استظهروا لأنها في متناول مدلولاتهم ثم يصبحون سلبيين تماما تجاه الآداب العالية •

ان انتقال المعنى بواسطة اللفظة دون امانة لاتعود

مسؤوليتها الى مقدار تجارب الشخص الحية فقط ولكنها تعود أيضا الى اللفظة ذاتها تلك اللفظة التي تكون أحيانا عاجزة عن ترجمة افكار الانسان فالفكر المبدع مقدم على اللغة وان من الاحاسيس والافكار ماضاع دون ان يجد الاديب بين يديه من الالفاظ ما يعبر به عن ادق خالجة في قلبه ولم يصمت رامبو الا بعد ان استنفد امكانات الالفاظ فقال انها لم تعد قادرة على ترجمة افكاره .

تجابه هذه الامور الاديب والمفكر معا . وليست معضلة هينة ان يعيش انسان باحساسه المرهف كل القضايا اليومية ثم يحاول افهام الاخرين انطباعاته واراءه فيها .

ولعله مهم جدا أن ندرك مدى ما اصاب الكلمة من انزحال في المعنى عبر السنين وان نعلم ان كلمة (مشاق السفر) لم تعد كما كانت تحمل الديناميكية نفسها فقد انزحلت حتى اصبحت لاتعني أكثر من غبار على الكتفين وصداع خفيف . وكثير من الالفاظ التي فقدت معانيها كليا واستبدلتها بمولولات جديدة .

ان مسؤولية الاديب في هذه الناحية مسؤولية كاملة . وهل اولى من الاديب بتجديد الالفاظ وايرادها في سياق يمنحها حياة ودفئا ونشوة . وهل أجدر منه نفسه في أن يأخذ من الكلمات الدراجة على لسان العامة فيدفع بها الى اللغة لتصبح طاقات جديدة في التعبير ومقومات له .. ان توليد الالفاظ وشحنها بدفقات جديدة مسؤولية يتحملها الادباء الذين اراهم قد تنكروا عن حملها حتى اتاحوا للصحافة اليومية ان تملك زمام المبادرة دونهم في هذا المضمار لحتى غدونا نرى كلمات جديدة مأخوذة من لسان العامة لكن ليست ذات مدلول كامل لأنها ليست معروضة باتقان فكري .

وان من الادباء من عبر بالفاظ غامضة او استعمل الرمز فزاد في تشويش مدلول اللفظ حتى كاد يقتل الفكر في هذا التيار من عدم الاهتمام بمدلول اللفظة ومفهومها وامكانيتها ..

ان استعمال الرمز او استعمال حالات اللاشعور في التعبير اسلوب ادبي نستطيع ان نحترمه عندما يصدر عن ادباء قد أشبعوا الالفاظ استهلاكا وحققوا اثارا أدبية كلاسيكية ثم لم يجدوا مفرا في الابداع من الانتقال الى مستويات جديدة . أما ان نقبل من أديب لم يتقن وسائل العبير الاولية ولم ينتج شيئا ذا قيمة في المفاهيم العادية ان ينتقل الى الغموض والرمزية والاشكال ، فهي محاولة عجز وفقر وليست عن جدارة مقبولة .

بقيت قضية واحدة ذات علاقة في تصور المفهوم ، لم أعرف أحدا تطرق اليها من قبل الا وهي موضع المدرك في الصورة . فاللفظة لاتحمل معنى واحدا .. ان لها معنيين ويحصل المعنى الثاني من الحركة التي تكتسبها اللفظة في سياق الجملة (المكان) . ولاسيما في اللغة العربية حيث تؤلف القواعد جزءا لايتجزأ من حصول الصورة .

ان استعمال الصفة هو اعطاء خاصة دائمة اما استعمال الحال فهو اعطاء خاصة وقتية والعطف غير الاضافة هذه أمور سهلة الفهم قواعديا ولكنها تحتاج الى مران لفهم مقدار حركة اللفظة في سياق التصور والادراك ولا سيما عندما تزداد المسألة تعقيدا وتكون الصورة مؤلفة من مجموعة صور متحركة متتابعة .

يبرز علم النحو سندا قويا في هذا المجال لايتم من دونه فهم ولا يكتمل ادراك . ان استعمال القواعد الاولية في الفاعل والمفعول من الامور البديهية لكن تصوير حالة النفس خلال انتقالها وحركتها يصبح صعبا فتقف اللغة الفصحى لغة اعجاز وتفوق امام العامية التي تحتاج الى ضعف الكلمات للتعبير عن ذات المشكلة لعدم وجود مستندات في علم النحو بالنسبة للعامية ولقد قرأت مرارا لكثيرين من الادباء عقدوا الجمل بالابتعاد عن متابعة حركة اللفظة وديمومتها او انتهائها وما يجب ان يوافق ذلك من استعمالات قواعد علم النحو .

انني اطالب الاساتذة الضليعين في اللغة ان لايهملوا بعد تدريس كل قاعدة لغوية امكانية تلك القاعدة في تحديد مدلول اللفظة وامتداده الفكري • وان يفسحوا المجـال أمام الطلاب ليطلعوا على امكانات التعبـير الجديدة التي تحصل عند استعمال حركة اللفظة في سياق الصورة •

قد يدرك دارس لغة اجنبية كل كلمات النص ويظل المعنى خافيا عليه وما ذلك الا لأنه لم يدرك حركةالكلمة في الجملة وموضع المفهوم من مفهوم آخر سـابق أو لاحق له •

واعتقد ان ايجاد ابحاث خاصة تحوي هذا الربط بين الحركة والمكان مهمة جدا لأنها ستدخل عامـل الزمن الذي ينظم المدرك اطلاقا وآنئذ يتم ارتباط كامل ونطلع على صورة ذات اجزاء متماسكة يقوم فيها معنى الكلمة الاولي باحداث التخيل واستثارة التداعي ويحدد المعنى القواعدي المدى الزمني والمكاني لها •

لقد رأينا عدة مستويات للفظة فلها معنى تجريدي قاموسي صرف ثم معنى يحدد لها تصورا في الدماغ ثـم معنى يقوم على ارتباطها في الجملة قواعديا •

ولا بد أن نناقش الآن بعد هذا التقسيم مدى ما يفعله استعمال كلمات اجنبية مأخوذة من لغات أخرى لعـدم وجود مايقابلها في لغتنا •

انني اعتقد استنادا الى حقيقةمدلول الالفاظ اناستخدام مفردات من اللغات الثانية ليس خيانة أبدا طالما ان هذا الاخذ لا يتناول الا الكلمة بمدلولها التجريدي وستأخذ من فكرنا مدلولين اضافيين فاستعمال كلمة « الستراتيجية والتكنيك» واسماء المكتشفات الحديثة كالنترونوالبروتون لاتجعل لغتنافقد أصالتهابل انه سيعمل التقدم سريعا لكي نؤلف في اللغة العربية ابحاثا علمية وان نكتب مواضيع أدبية تستطيع ان تعبر عن اعمق اعماق الحياة وتستدرك مافات في الماضي من عهود التأخر •

دمشق ــ وليد مدفعي

رومان رولان

ومسرحيته

« سيأتي الوقت »

بقلم : جورج سالم

اذا كان الأدب كشفا عن الحياة ، وتعبيرا عن معانيها العميقة ، فالحياة هي حرية في أعماقها • ومن هنا اتجه الأدب الحديث هـذه الوجهة ، فعني بتصوير صراع الانسان والشعوب في سبيل الظفر بالحرية • ومن هنا أيضا شجب النقد الحديث كل أدب لايهدف الى رفع الظلم ، أي ظلم ، عن الانسان فرديا كان أم اجتماعيا وسياسيا • فاذا كان الاديب قد وهب بصيرة نيرة ، يرى بها أعماق الامور ، ومقدرة على التعبير لايتمتع بها كثير من الناس ، فان له لقاء ذلك واجبا ورسالة • فهو لايكتب ليزجي الفراغ ، ولا يكتب ليسلي الناس ويلهيهم ، بل يكتب لأنه مسؤول عن اخوانه في الانسانية ، فليس له أن يصمت عن حق أو يتعامى عن باطل أو يشوه خيرا • انه شاهد على الحقيقة الانسانية في نزوعها نحو الخير • يقول دوستويفسكي : « ان كل انسان مسؤول عن كل شيء أمام كل الناس » ومن الطبيعي أن يكون الاديب ، بعد هذا ، أكثر الناس مسؤولية ، لأنه يملك اداة لايملكها معظم الناس • وهي القدرة على التعبير تعبيرا فنيا وجماليا •

ومن أجل ذلك كله ازدهر في عصرنا هـذا الأدب النضالي الذي يصور كفاح الناس ونضالهم للتحرر من كل مستعمر أو دخيل يسعى لأن يسلب الناس حريتهم المقدسة •

ومسرحية « سيأتي الوقت » لرومان رولان ، نموذج ممتاز بهذا الاتجاه الذي يبتعد فيه الاديب عن فرديته وذاتيته ، وينزل من برجه العاجي ، ليصور مأساة وطن صغير يسومه وطن أكبر منه الظلم والاستعباد ، رغبة منه في الاستيلاء على أرضه وامتصاص خيراتها ، واذا كنا نصف هذه المسرحية بأنها ممتازة ، فلأنها ، كما سنرى ، تجمع بين عمق الفكرة وانسانيتها ، وبين جمال الاخراج• وواقعية العرض ، فلا تسف الى حضيض الدعاية الرخيصة بل تحافظ على أصالة الفن ومستلزماته •

أما رومان رولان فأديب فرنسي كبير ولد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتوفي عام ١٩٤٤ • ويعد بحق من اوسع الكتاب الاوروبيين افقا ، واكثرهم انسانية ذلك بأنه اهتم بمشاكل عصره اهتماما كبيرا ، فشجب الحروب ، وآلمه ماتخلف من دمار وانهيار ، وما تزهق فيها من ارواح بشرية بريئة • فآمن بالسلام ودعا اليه ، وأخذ بمبدأ غاندي في سياسة اللاعنف • كما اهتم بالشعب أكبر اهتمام ، فوضع مسرحيات شعبية صور فيها العواطف البسيطة القوية • وعني أيضا بالفن عامة وبالموسيقى خاصة فكتب في هذا الموضوع دراسات عميقة عن ائمة الفنانين (بتهوفن – ميكل انج – تولستوي) الى جانب روايته الموسيقية الكبرى (جان كريستوف) • وقد سعى في دراساته هذه الى اعطاء مفهوم البطولة معنى انسانيا جديدا• فلم يعد البطل عنده رجل الشدة والبطش ، بل هو انسان يحيا بقلبه وبروحه ، على حد تعبير برسويه « فلنبعد عنا الابطال المجردين من الروح الانسانية » •

والى جانب ذلك كله ، رفض رومان رولان الاستعمار وأساليبه في السيطرة على الشعوب للاستيلاء على خيراتها بدعوى حمايتها ورفع مستواها وتحضيرها • وقد تجلت نظرته للاستعمار هذه ، وسعيه للكشف عن أكاذيبه في مسرحيته الرائعة « سيأتي الوقت » •

ترسم هذه المسرحية صورة للصراع الذي قام بين الاستعمار الانجليزي وبين الشعب الهولندي ، الذي استوطن أرضا في جنوب افريقيا ، وقد عرفت هذه الحرب بحرب البوير وامتدت من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٢ •

عاصر رومان رولان هذه الحرب ، وهو كأديب انساني كبير عني بها ، وكانت له فيها نظرة انسانية صحيحة • لأن الاديب الحق لا يستطيع الا أن يشارك في حوادث عصره ومصير الانسان معا • انه مرغم على أن تكون له وجهة نظر في هذه الامور ، وان مجرد الصمت وحده أمام مثل هذه الاحداث يعد خيانة • ولهذا فان رولان لم يقف مكتوف اليدين أمام وحشية الاستعمار ، بل عبر عن نقمته على الاعمال الرهيبة التي ارتكبها المستعمرون في تلك الارض الآمنة ، وسجل موقفه منها وهو موقف انساني نبيل • وتجلى هذا كله في مسرحية « سيأتي الوقت » • هذه المسرحية التي تصور نضال الانسان في سبيل الحرية • فكان بذلك أحد رواد الادب النضالي ، كما كان بذلك ممهدا لموضوع أدبي غني سلكه فيما بعد عدد كبير من الادباء كشتاينبك وفيركور وبرناردشو وهربيت ستاد ومحمد ديب وغيرهم ••

تتألف هذه المسرحية من فصول ثلاثة ، يعرض لنا الكاتب في الفصل الاول منها دخول المستعمرين البريطانيين الارض المغتصبة • وأمام هذا الحادث تقف النساء مذعورات خائفات يبكين ويصلين • وتستولي قيادة الجيش على أحد البيوت لتتخذ منه مكتبا لاركان الحرب • ويحاول رئيس الاركان أن يبرر هذا العمل أمام ربة البيت (ديبورا) فهو يستأذنها في ذلك ، ولكنها تصر على أن البيت لها ، وأن القوة هي التي جعلت رئيس الاركان ضيفا فيه ، ومن خلال حوارهما ندرك أن زوج المرأة مات في المعركة وأن ابن رئيس الاركان وزوجه ماتا أيضا في ظروف مماثله • أما ولدا المرأة الآخران ، فقد ذهبا الى الميدان • واذ يرى قائد القوات (كليفورد) ماتكنه له المرأة وابنها الصغير من البغض ، تتضح في ذهنه رهبة الاعمال التي سيقدم عليها • لقد أحب الحرب منذ صغره ، ولكنه يخجل الآن من ممارستها • ولم تتكشف لعينيه هذه الحقيقة الا بعد أن مات ابنه ، فهو يفكر بالاستقالة والرحيل ولكنه اذ يفكر فيمن سيحل محله يتردد في تقديم استقالته ويعدل عنها ، ذلك بأن مساعده (جراهام) قائد غليظ القلب بعيد عن الاعتدال ، واذا ما استولى على قيادة الجيش فستكون الحرب معه حربا قاسية لاهوادة فيها • ثم لانلبث أن نرى أن المدينة قد صمتت ، فكل شيء مغلق فيها ، والشيوخ والاطفال والنساء يجلسون في الظلام صامتين • في حين شرع الرجال في المقاومة ، فقطعوا الاسلاك التلفونية وتوقفت قطارات السكك الحديدية • ويقبض الجند على أحد الشيوخ فيحاكم لأنه حاول تمزيق العلم البريطاني ، ويحكم عليه بالاعدام لأن من رأي المساعد (جراهام) أن أكثر الاساليب انسانية هي أن تحارب بلا رحمة ، بهذا تنتهي الحرب سريعا •

ويجتمع القواد ليكتبوا صيغة نداء الى الشعب يبررون فيه أعمالهم ، فيفسرون تصرفاتهم ويزيفونها • فهي في نظرهم لصالح الشعب واصلاح وضعه ، والدفاع عن حقوق الانسان والعدالة المنتهكة ! ويصر القواد على ضرورة عزل النساء والاطفال في معسكرات خاصة تحت حمايتهم ، بعيدة عن أرض المعركة ، ولكن قائد القوات يثور على طريقة المناقشة وطريقة صوغ البيان بما فيها من مداورة وكلمات مطاطة ، فيمزق المنشور ويملي منشورا آخر ، يصوغ فيه تلك الآراء على نحو واضح صارم ، فاذا ما انتهى من كتابته واذاعته ، شعر بحقارة عمله وأدرك أن الواجب يضطر الانسان احيانا على القيام بأعمال حقيرة تشمئز منها النفس ، وحين يرى القواد يحتفلون ، آخر اليوم ، بانتصارهم ويشربون نخب الوطن والامبراطورية ، ونخب غزو الارض ، يتساءل في نفسه

وما الأرض ؟ ويدرك أن الانسان لا يستطيع أن يستولي على الارض • وان ست اقدام من التراب وحدها تكفيه •

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في جهة القتال ، وقرب الجبهة معسكرات النساء والمعتقلين • وهاهم الجنود يسوقون المعتقلين الى المعسكرات ، واذا بامرأة تمسك طفلا وتشير الى الجنود قائلة : لاتنس هذا المشهد ، ويأتي جواب الطفل سريعا : بندقية فقط أقتلهم جميعا • وازاء هذا المشهد تتحرك شفقة الجندي (اوين) فيقدم لها الرغيف الذي يأكل ولكنها تقذف بالرغيف الى الارض • ولكن ماذا عسى ان تكون حالة معسكرات الاعتقال ؟ لقد تفشت فيها الأوبئة والامراض والموت ، وغدت على حد تعبير أحد الضباط شبيهة بجحيم دانتي • ونرى بين الذين يساقون الى المعتقل ايطاليا يؤمن بأن كل ظلم عدو له ، ويقر بأن وطنه هو كل مكان تنتهك فيه الحرية • ثم نرى السيدة (ديبورا) تأتي مع ابنها لتطلب أن توضع مع ابناء الشعب في المعتقل ، لأنها تشعر أن من العار ان تعيش في طمأنينة وأمن بينما يتعذب الآخرون ويشقون لكن (كليفورد) لايسمح لها بذلك ، بل يحاول أن يناقشها ، الا انها لاتزداد الا صرامة وتمسكا بحنقها وكراهيتها • واذ يرى كليفورد ابنها (دافيد) تعاوده آلامه فينحني على الطفل ثم يجلسه على ركبته ، ونستشف من الحوار ان ابنه مات بالدفتريا ثم لحقت به امه ، وانه اذا كان يقتل الابرياء فانه انما يفعل ذلك امتثالا لأوامر تصدر اليه ، واذا ماتخلى عن مهمته هذه ، فقد يأخذ غيره مكانه ويكون أشد قسوة منه • ولكن حين توضح له أن الجريمة هي الجريمة ، وأن أقل الدرجات فيها هي جريمة أيضا ، فانه يصرفها بجفاء فتمسك بطفلها وتقرب وجهه من وجه القائد لتقول له : تأمل ، تأمل قاتل أهلك • انظر اليه جيدا حتى تتذكره حين تموت ، وتصرخ ضده وضد طفله أمام الرب • وآنذاك نرى لويس براون يهرول مسرعا طالبا النجدة ، فالمناجم مهددة بالخطر ، والماء يجتاحها من كل مكان • ولكن القائد يرفض تلبية الطلب لأن جنوده قد هدهم التعب • وازاء اصرار صاحب المنجم ، ينفجر القائد فيكشف عن دوافع هذه الحرب المشؤومة ، لقد حمل الطامعون في الذهب الحكومة على خوض غمار هذه المعركة ، وارسلوا الى الموت آلافا من الناس •

ويدبر القائد خطة عسكرية يطوق بها الثوار فيقعون في شراكه ، وهذا العمل يثير في نفس الجندي (اوين) مشكلة الحرب والتعذيب بكل غناها وعمقها ، بل مشكلة الحياة والموت والوجود الانساني نفسها • فيتساءل ، ومشهد النيران التي تتراءى على التلال تذكره ببلاده ، لماذا ، لماذا أتينا ؟•

ثم نرى الجنود وهم يضطربون أمام البرد والجوع • وفي هدأة الليل يحاول الايطالي ان يهرب فيطلق عليه أحد الحراس النار ، فيجرح ويجرح معه الحارس ، ويبلغ المشهد ذروة التأثير حين يلتقي الجريحان على صعيد واحد فنسمع الايطالي يقول للجندي : سأظل في رفقتك ، أنا أيضا من اوروبا العجوز ، لاتحزن فلن نكون وحدنا ! واذا كان الايطالي قد اختار هذه الميتة اعتقادا منه انها ميتة مشرفة ، فان الجندي يتساءل : « لماذا أتيت الى هنا ؟ لأي شيء أتيت ؟ » وهنا يثور أحد الجنود اذ يدرك ان الدافع لهذه الحرب انما هم اصحاب المصارف والوزراء ، الذين يرسلون الناس الى العذاب والموت من أجل أطماعهم وذهبهم •

ويبذل الجندي آخر الامر جهدا كبيرا كي ينهض ، ثم يمد يده نحو الايطالي وينحني عليه ويحتضنه ويموتان معا • ويدعى الجنود بعد هذا الى المسير فيسيرون الا (اوين) الذي يرفض الامتثال للاوامر ، لا لأنه مريض، بل لأنه لايريد أن يقتل من جديد •

أما في الفصل الثالث والاخير فنحن في حديقة منزل (ديبورا) • لقد طوق الغزاة جيش الشعب ، ولكن (كليفورد) يثوب آنذاك الى رشده ، ليدرك أن الحروب لا تنتهي أبدا ، فلا وجود للبطالة في هذه المهنة التي تتعامل بالكراهية والوحشية وكل العواطف الشريرة • وهكذا نراه يتردد في ضرب المواطنين وتتأرجح نفسه بين الاقدام

والاحجام ، بين ضميره ومجد الامبراطورية ، فيدفع بمسدسه الى رفيقه كي يطلق عليه الرصاص اذ لم يقم بواجبه العسكري • ولكن ان هي الا هنيهة حتى يحضر الجنود (اوين) الذي شق عصا الطاعة ورفض الحرب ، فهو يفضل أن يقتل • لقد ادرك انه ليس شريرا ، ومع ذلك فهو يرتكب الشر • وتندلع نار المعركة فيحكم (كليفورد) بالاعدام على (اوين) وينطلق ، فيخلو الميدان أمام (اوين) ليهرب ، ويحثه رفاقه الجنود على ذلك ولكنه يأبى الهرب • ثم يشتد اوار المعركة ،فيظهر الرعب والفزع على وجوه النسوة ، ولم يعد أمامهن من سبيل للخلاص فيصلين ويطلبن من الله المعجزة ، ولكن المعجزة لم تقع ، بل سقط جيش الشعب ووقع رئيس البلاد أسيرا في يد الجند فاقتيد الى الدار • وهنا يحاول (كليفورد) ان يقنعه بايقاف الحرب حقنا للدماء ، ولكن هذا يظل متمسكا بموقفه، اعتقادا منه ان رجاله لايحاربون من أجله كما يفعل جنود اوروبا ، بل يحاربون من أجل ضمائرهم ، وسيحاربون حتى يموتوا او ينتصروا •وبينما رئيس البلاد وقائد القوات يتناقشان ، يقترب ابن ديبورا من المنضدة ويتناول مسدس القائد ثم يطلق عليه النار • واذ يحاول الجنود أن يفتكوا بالطفل يمنعهم القائد (كليفورد) من ذلك ، بل يوصي به الطبيب ، فقد اتضح له أخيرا انه جعل هذا الطفل يتعذب في كل اطفال هذا الشعب الذي عذبه • ويلتفت نحو ديبورا التي كانت تعنى به ليقول لها : شكرا ، أنت اذن لاتكرهينني الآن • لاتكرهي أحدا بعد • كل الذين يرتكبون الشر هم أيضا تعساء • لقد انتهت المعركة واستسلم الشعب • الا أن كليفورد لم يعد يؤمن بالنصر أو بالمنتصرين « لايوجد منتصرون ، يوجد فقط منهزمون • « ويستلم (جراهام) القيادة ، فيعدم الاسرى فوراء ويقبض على النساء والاطفال ويحرق المزارع • ويلمح بين ذلك (اوين) واذ يعلم انه رفض أن يحارب يدفعه مع زمرة الذين حكم عليهم بالاعدام فيقتاده الجنود ويقول وهوماض معهم هذهالجملة التي تنتهي بها المسرحية :

« سيأتي الوقت الذي يعرف فيه كل البشر الحقيقة ، فيحولون الحراب الى مناجل والسيوف الى فئوس ، وسيأتي الوقت الذي ينام فيه السبع بجوار الحمل ، سيأتي الوقت ! »

هذه هي المسرحية في خطوطها العريضة ، وهي كما نرى مسرحية تحفل بالاحياء من الاشخاص والمثير من المواقف ، كما تتميز بعمق الفكرة التي تعرضها ، ونبل الغاية التي تهدف اليها •

لقد أراد الكاتب أن يطرح مشكلة الحرية ، فلم يلجأ الى الحوار الذهني في مناقشته لجوانب الفكرة ، وانما جسد مختلف وجهات النظر في اشخاص من لحم ودم ، وليس غريبا ان نرى بعد هذا في تصرفات كل من ابطال الرواية موقفا معينا من الحرية •

فمعاون القائد (جراهام) يمثل الظلم المطلقوالاستعمار في أشنع صوره وأعنف تصرفاته ، فهو يؤمن بالارهاب وبسياسة الشدة والبطش والعنف ، ويحظر اللجوء الى التسامح • انه انسان مجرد من المعاني الانسانية ، قاسفي معاملته للجرحى من الاعداء ، يستسخف فكرة الاعتناء بهم ، ويرفض معاملتهم كأخوة ، ويأسف للطعام الذي يأكلون •

أما كليفورد قائد القوات فانسان شقي ، تتقاذفه مختلف الطوائف • فهو متردد ، مضطرب بين حياته العسكرية بما فيها من واجبات ومهام ، وبين المشاعر الانسانية التي تراوده بين الحين والحين • انه يحمل بعض المعاني الانسانية في نفسه ، وانا لنلحظ ذلك حين نرى الألم يلح عليه اذ يذكر ابنه الميت وزوجه التي لحقت به ، وكثيرا ماوقف موقف الشك والريبة من الحرب التي يقوم بها • يقول مرة « اني خجل ياعزيزي ، كل هذه القوة الهائلة لتجريد بعض المزارعين من حقولهم ومزارعهم • الاستمتاع الحقيقي ان تنتصر على خصم في مثل قوتك ومرتبتك ، متى ينتهي كل هذا ؟ » ويقول في مكان آخر: « تأمل يا دكتور اني لم تخدعني مطلقا أكاذيب تلكالمدينة التي تزعم لنفسها حق تجريد الشعوب الذين نسميهم

متخلفين من اوطانهم • » وتثقل عليه وطأة الكراهيـــة التي يعامله بها ابناء البلاد فيهتف « هناك لحظات لايمكن أن نحتمل فيها كراهية الآخرين ! » أما مايجعله يتمسك بمنصبه فهو خوفه من أن يحل جراهام محله ، لأنه انسان قاس لاتعرف الرحمة الى قلبه سبيلا • وهو اذا كان يقوم بالواجب فان ذلك لا يمنعه من النظر اليه بازدراء لأنه يدرك بواعث الاعمال الخفية • الا انه لايعجب بالواجب ولا يحترمه ، ولكنه في الوقت ذاته لايثور عليــه ولا يتمرد • يقول « أنا افعل ذلك لأني مضطر اليه ، الواجب يضطرنا احيانا الى أعمال حقيرة تشمئز منها النفس ، وان دعت اليها الحاجة ، ويجب أن نؤديها دون أن نعجب بها» •

وهو بعد هذا كله انسان بائس • يقول مخاطبا المرأة « لاتكوني قاسية ، ان بائسا يقبل بائسا مثله • • » ومرد بؤسه الى انه انسان مشـدود بين وترين ، موزع بين مايدعوه واجبا وبين العواطف الانسانية النبيلة • ولكنه الى ذلك يقوم بوضع الخطط ويحارب مع انه لم يعــد يشعر بالكراهية • الا أن الجانب الخير في نفسه لم ينقلب الى عمل ثوري ، فبقي يطيع منطقا يعتقد في قرارة نفسه انه خاطىء وأثيم دون أن يستطيع تبديله أو الثورة عليه• يقول في هذا المعنى مخاطبا صديقه ميلز :

« لاتخشى شيئا ، سأودي واجبي ، واجبي كجندي • ولكن هذا الواجب شيء مخجل • مخجل ياصديقي • وأنت تعرف جيدا • ولكننا لا نجرؤ على مصارحة انفسنا بهذه الحقيقة • ربما تسألني لماذا أقوم بهذا الواجب ؟ لأني لست سيد نفسي • اسمع صوتا آخر غير ضميري يصيح بي « تقدم ، لا أهمية لما تفكر فيه » • وأنا ميدان لمعركة بين ارادتين • لو كنت في حالتي الطبيعية ،لقررت ثم نفذت قراري مهما يكن ، دون أن أسمح لعقلي بأن يناقش شيئا • ولكني ضعفت الى حد مضحك • واني لأخجل من نفسي • ميلز ، لقد كنت مخطئا حين منعتني من الاستقالة • كنت استطيع ذلك منذ شهر • أما الآن فقد فات الوقت • اذا نكصت على عقبي أو توقفت ، فلن يكون هذا ضياعا لهذا البلد فحسب ، ولكن ضياعا لمجد انجلترا وللامبراطورية كلها • اطيع ضميري ؟ لا استطيع ذلك دون أن أخون بلادي • اطيع بلادي ؟ يجب ، ولكن كياني كله ينتفض اشمئزازا ويرفض • سأتم ما بدأت وسأمضي حتى النهاية ، هل أنا مخطىء • اني لا أريد التفكير ، ولكنني افكر بالرغم مني ••• »

أما البطل الذي كان اكثر شجاعة من القائد واوفر نبلا فهو الجندي (اوين) • لقد ادرك أوين كما ادرك القائد (كليفورد) قبح العمل الذي يقوم به وبعده عن الروح الانسانية ، فحطم كل العرى التي تربطه به ، فثار وامتنع عن خوض المعركة ، وقبل الموت مختـــارا له ، مفضلا اياه على ارتكاب الشر والاثم • فهو يتألم لهـــذه الكراهية التي يقابله بها الناس ؟ يقول « من المؤلم ان يرى الانسان نفسه مكروها • • » كما يتـــألم أيضا اذ يشعر بالمآسي التي يرتكبها • فلا يفهم معنى مايجري حوله أو مايقوم به أو سبب مجيئه • « ما أبعدنا عن بلادنا ، لماذا جئنا ؟ » واذ يشعر بانه عاجز عن الفهم نراه يصيـــح : « كلا ، العالم سيء ، كل شيء سيء كل شيء يستعصي على الفهم ، كل شيء • • » حتى اذا ما رأى رفيقه الجندي والمناضل الايطالي يموتان معا ، ثار على الحرب ورفض القيام بها • ويفسر ذلك بقوله : « نحن نتعذب كثيرا ، لا استطيع الاستمرار ، افضل أن اقتل ، فاذا قتلت فلن اتعذب بعد ، اما اذا قتلت فسأعذب وأتعذب أيضا » •

وعبثا حاول رفاقه أن يقنعوه بالاشتراك في الحرب ، فأبى ذلك كما أبى الهرب ، فحكم عليه بالاعدام ، ولكنه اذ يمضي الى الموت فانه يمضي واثقا بالمستقبل ، واثقـــا باليوم الذي يدرك فيه الناس عبث الحروب التي يقومون بها • ان كلماته الاخيرة دعوة الى المحبة والتضامن والتآخي بين البشر •

ويمثل المتطوع الايطالي الانسان الثائر الذي يؤمن بالقضية الانسانية أينما وجدت ويدافع عن الانســـان المظلوم أيا كان موطنه وحيثما ظلم • يقول بهذا المعنى « كل ظلم عدو لي » • أما وطنه فهو « كل مكان تنتهك فيه الحرية » •

أنه مناضل عنيف يسخر من القدر ويتحداه وهو ثائر متمرد : « عندما يعذبنا القدر يجب أن نضحك منه ، فهذا يغيظه ، ومهما انتصر علينا نظل عندئذ أرفع منه » أما حياته فيلخصها بقوله: « لي أم عجوز ولكنها لاتنتظرني ولي مجموعة طويلة من الاخوة والاخوات ، صغارو كبار ولا أدري اين هم • لم تكن الحياة سهلة ، قالت لنا الأم : يا اطفالي : رتبوا أموركم بأنفسكم اذا استطعتم ، عيشوا بقدر ماتستطيعون ، فالحياة شيء جميل بالرغم من كل شيء • وعندما تعجزون عن مواصلة الحياة ، حاولوا أن تختاروا موتكم ، فالموت أيضا ليس شيئا كريها • عندما نعجز عن كل شيء سواه ، وها أنذا فعلت كما قالت امي لم استطع أن أعيش سعيدا ، فاخترت ان أموت شريفا • لست مستاء ، انها لمسرة أن يموت الانسان وهو على حق •

وهو ينفي القدر نفيا تاما ، ويعتقد ان الانسان هو المسؤول عن اعماله • « لا وجود للقدر ، لايوجد سوانا ، فلنعمل ما يجب أن نعمله ، وعندئذ يسير كل شيء سيرا حسنا •

ويفسر هذا الثائر السوء في العالم فيقول : « اذا كان العالم سيئا فذلك لأننا نحن جعلناه سيئا • »

وتتجلى ثورته في انسانيتها العميقة حيث يقول : « انها لسعادة عظيمة أن نشعر أننا جميعا أخوة • لاوجود للاجناس والديانات ولا لاختلاف الجلد والفكر ، وانه لايوجد سوى رجال يتبادلون المساعدة ويحب بعضهم بعضا ، وعندئذ يكون الفردوس على الارض • »

الى جانب هؤلاء الاشخاص نجد ديبورا وابنها الصغير انها تمثل الشعب المظلوم الذي يدفعه الظلم الى الثورة والبغض والكراهية • أما ابنها الذي يقتل القائد كليفورد أفلا نرى فيه رمزا لاطفال الشعب المظلوم الذين تقع على كواهلهم تبعة النضال والثورة وتحطيم الظلم وقتل الظالمين ؟! ان قتله للقائد لاكثر من معنى • ذلك بأن تشرب بغض الاعداء صغيرا ، وبدأ يحقق منذ صغره المهمة المنوطة به •

هؤلاء هم أهم اشخاص المسرحية • وان حظهم من الايمان بالحرية ليختلف اختلافا كبيرا فيما رأينا • فبعضهم كافر بالحرية منكر لها ، وبعضهم مؤمن بها كل الايمان ، يموت في سبيل الدفاع عنها ، وبعضهم متردد بين الظلم والحرية دون أن يستطيع ان يسير في الطريق القويم •

واذا كان المؤلف أيضا في تصوير الاستعمار ومنطقه وسخفه • لنستمع الى جنود الاستعمار كيف يفكرون : « اذا لم يأكل الاقوياء الضعفاء فلن تقوم الحضارة على الاطلاق • » وهذا القول يفسر السياسة الاستعمارية في كل عصر ويلخصها • ويسخر الكاتب من نظرة الجنود الى اعمالهم الارهابية اذ يصفونها بانها انسانية • يقول أحدهم : « اذا لم نقم نحن بامتداح انفسنا ، فلن يمدحنا أحد نيابة عنا • انهم في اوروبا يطلقون الشائعات عن تصرفاتنا – في حسد بالغ – بينما تعتبر تصرفاتنا انموذجا للجميع • لا اعتقد انه حدث في تاريخ العالم ان أديرت حرب بمثل هذه الانسانية • » ويمضي الجندي متسائلا : « هل هناك أروع من التضحيات التي نبذلها لنفتح أمام الحضارة هذه الارض التي يغلقها غبار أصحابها لندخل الى هذه الارض بالقوة التجارة والصناعة والدين !! »

ويلجأ الاستعمار كذلك الى مؤاساة أهل ضحاياه الذين شردهم ، فيعمد الى الكلام المعسول ليقول لهم على لسان أحد القواد :

« اننا نشعر بأعمق العطف على آلام هذه المخلوقات التعسة التي تقع مسئوليتها على المتمردين وعلى سلوكهم الشائن • وسنحاول مافي وسعنا لنخفف عنهم أحزانهم • »

وهكذا استحال الجلاد في منطق الاستعمار الى آس ، والثوار المطالبون بحقهم متمردين •

ويدعي الاستعمار ان له رسالة نبيلة اذ يقوم بتسلله الغادر الى الارض الآمنة : « سننشيء المدارس ، سننشر في كل مكان فيضا من النور • ما اشد سعادتي بما سنفعله من خير هنا • ما اشد سعادة المرء عندما يشعر انه يخدم قضية كبرى • اعتقد ان انجلترا هي اسرائيل العصر الحديث ، عهد اليها الرب برسالة خاصة • »

ويصور الكاتب المنطق الاستعماري الهزيل بما فيه

المنسج

بقلم
محمد ديب

تعريب
الدكتور سامي الجندي

ازاح عمر بقفا يده الستارة التي تسد مدخل الغرفة ، ودخل ، وكاد يتجاوز العتبة حتى فقد الجرأة على التقدم فظل جامدا ، تنفضه رعشات ، كان ينتابه شعور بأن في عينيه قطعا من الليل مزقها المطر •

كانت ثيابه المبللة المتدلية على جسده تقطر ماء ، وقد ماع خفاه المشبعان بللا فلوثا الارض ببقع كبيرة موحلة •

وتراوحت نظراته بين أمه وشقيقته ، وراحت هاتان تراقبانه ، وقد تعتع ملامحهما تعبير حزين ، أما أمه ، عيني ،فكانت تشغل زاويتها المألوفة ، وقد احاطت وجهها بحرام عتيق مهترىء ردته على عينيها ، كانت تبدو غارقة في حلم عميق ، وكانت الجدران العارية ، المطلية بالكلس الاخضر ، تلمع في نور الكهرباء •

وما ان رأته أمه حتى قفزت واقفة ، وشهرت قبضتها :

ـ ليس ولـــدا ما ارى أمامي ، بل كلب من كلاب الشوارع •

كان يبدو أنها فقدت سيطرتها ، وراح عمر ينظراليها وهي تصرخ ما وسعها الصراخ :

ـ اجل ! كلب من كلاب الشوارع ، كلب سوقي •

وردت الى الخلف اردان حرامها التي كانت تضايقها •

ـ أين كنت تتعثر حتى هذه الساعة ؟ أين ؟ أين ؟

من ظلم وغرور وأنانية ، وفي هذا التصور فضح للاستعمار ومنطقه • يقول أحد الجنود : اننا نبذل جهدا مميتـــا لنجعلهم يفهمون • ولكنهم يتعمدون الا يفهموا ، انهم عنيدون كالحمير ••• ثم ، اننا لسنا في حاجة الى كل هذا الشرح • ان لانجلترا الحق في سيادة العالم ، واذا كانت تسمح لبعض الشعوب ان تعيش ، فهذا محض تواضع ؟ ولكنني أرى اننا في النهاية لابد ان نستولي على كل شيء •

وهكذا فان رومان رولان قد وفق في مسرحيته هذه • ذلك بأنه طرح على بساط البحث قضية من أهم القضايا وهي قضية الحرية • وقيمة هذه القضية تأتي أولا من انها مشكلة يعيشها الناس في كل عصر ، وهي في الوقت نفسه تعبر عن صبوة الانسان الدائمة الى تحقيق وجوده• وثانيا لأن الكاتب استطاع ان يجسد مفهومه للحريـــة ولمختلف جوانبها في كائنات حية تصطرع فيما بينها فنتأثر بها ونتفاعل معها ، حبا أو بغضا ، اعجابا أو احتقارا • وفي هذه الناحية تتجلى قيمته كأديب وفنان •

فاللوحات المؤثرة التي عرضها علينا في هذه المسرحية تهز القلب الانساني ، كما ان المشاهد الحية التي رسمها للجنود المتعبين ، وصورة الشعب المعذب ، ووصف النضال العنيف الذي يقوم به الانسان ضد اعداء حريته ، هي في الواقع لوحات فنية على قسط كبير من الجمال • وهي تؤثر فينا بصدقها وواقعيتها وحرارتها •

وللمسرحية جانب انساني هام ، هو الدفاع عن المظلوم والانتصار له من جهة والدعوة الى التآخي بين الناس ونبذ التشاحن وسفك الدماء في سبيل مصلحـــة افراد قلائل من جهة أخرى • وهذه المهمة كما رأينا هي من صميم عمل الاديب •

وتعد هذه المسرحية لذلك كله وثيقة من وثائق العصر وحكما قاسيا اصدره الضمير الادبي على حرب البوير خاصة والاستعمار عامة • ومدخلا رائعا الى أدب النضال في العصر الحديث •

حلب ـ جورج سالم

قل لي ! هاها ، أأفرق وجهك أم امزق وجهي ، لقد جرفتك رياح الشر ! أو تحسب أنك صرت رجلا ! أو تظن أن كل شيء مباح لك ؟ صدقني أن هذا لن يكون ، ان بي من قوتي بعد مايحطمك ! اني أنا التي تأمر هنا ، وعليك أن تطيع طالما أنك في حاجة لتستظل هذا البيت ! افهمت ؟ اما أن تؤوي مبكرا واما أن تعود الى الازقة •

ولم ينتبه الصبي الى قطرات الماء المتحدرة من ثيابه لتشكل بقعة عند قدميه ، كان قلبه يخفق بشدة ، فتركها تسرد جبات سحيتها لأن ذاك يكن جديدا عليه• وانذرته أخيرا قائلة :

ـ لسوف تعلن حدادك على الحياة قريبا •

كان يذهب كل مساء الى المحطة ليستخرج من بين قضبان الحديد فتات الفحم الحجري• وكانت تلك الطريقة الوحيدة ليدبر بعض الوقود للمنزل •

وتخلص من مزودته دون أن يهمس بكلمة ، فما كان يتشهى الا شيئا واحدا ، أن يدفىء يديه المتجمدتين •

وراح يفكر في عالم العتمة العريض الذي خلفه وراءه كان الليل قد انتشر على الارض من زمن طويل ، والمطر يهطل ، يهطل بغزارة •

وانتصبت عويشة ، البنت البكر ، ملبية نداء أمها ،التي عادت الى زاويتها ، انتصبت وحملت المائدة ووضعت فوقها قصعة ونصف رغيف مزدوج وراح الاربعة يغمسون اصابعهم في المرق صامتين ، وفي برهة التهموا طعامهم المكون من اللفت وامعاء الضأن ، ثم قامت الشقيقتان تلمان المائدة •

وبعد قليل ، رقد القوم •

ليس في الوسع تحديد المدة التي مضت والغرفة غارقة في العتمة كان عمر هامدا ، دون أن يتسلط عليه النوم ، ولا شك أن زمنا طويلا مر عليه وهو هكذا ، كان البرد يخترقه ويدعه نصف مستيقظ ، وقد راحت تتناوشه موجات من الصور •

كان يرى مجودي القرآن يسيرون في مقدمة جنازة ، وكان يتبعهم ، مقتنعا بأن كل خطوة يخطوها خلف النعش ، تبعث الغبطة في نفس الميت • كان الناس يموتون بكثرة وما كان ينجو من الموت الا تجار القوافل ، الذي يلم بهم في رحلاته • كان يحس بشيء من الود نحو كل من هؤلاء الموتى المجهولين • وكان قد حفظ مقاطع طويلة من البردة • راح يرتلها لراحة نفوسهم •

ثم رأى متسولين هزيلين يتسللون تحت المطر المتساقط واخترقت مخيلته صور آخر ، كانت عيني قد اتخذت قرارا من عام سلف « تعلم مهنة ، لن تفيدك كتبك شيئا » يومها كان الصيف يقار بنهايته ، والعطلة الصيفية قد انقضت ، أما هو فلم يعترض ومن يومها لم تطأ قدماه المدرسة • ورغم أنه كان قد بلغ الثالثة عشرة • ورغم أن كل ساعة قضاها في التلهي لم تكن الا وقتا طائعا ،فانها ما كانت تكف عن تقريعه : وبعد فقد عيل صبري •

وانتظم في دكان سمان لكثرة ما قرعت أذنيه اتهامات أمه ، لكنه ما كاد يبدأ عمله في الدكان حتى اغلقته السلطات واعتقلت صاحبه وزجت به في السجن •

ويومها صاحت عيني • « انهم يقبضون على صغار التجار ويروجون لكبارهم •»

وكان من الضروري أن يبحث له عن عمل جديد ، ومر عام ، دون أن يحرك ساكنا واذا كان هناك شقي ، يجرر نفسه في الشوارع ، طليقا من كل قيد ، غير مبال بالوقت ، بالزمن الذي يضيعه ، بتأنيب أمه ، فقد كان صاحبنا خير نموذج لذلك •

وأعاد سمعه الى الهمهمة تزلزل أركان البيت ، كان صوت الليل الجبار يعنف ، والمطر يتهاطل ، وخلف الهمهمة كان الرعد يقصف ، وكان المنزل العتيق يهتز كلما اخترق الصوت المرعد السماء • وبدا كأن دار سبيتار ستهدم بمجرد أن يعاود الرعد قصفه •

وانتابه فجأة شعور بأن في الظلمة من يراقبه ، وغمره القلق • ودفعه ذلك الى التفكير بأمه التي كانت تلمس لماذا لاتعير انتباها الا لنذر الشر ولكل ماينبىء بكارثة ؟ لتفك طلاسمه •

وراح يفكر : لكن علام لاتعير انتباها ، وهي التي ترى

العالم مثقلا بالتنبؤات ، وبالبشائر العجائبية ، وهي التي تفسر كل عارض ، وكل حكة اذن ، وكل ظاهرة لاتفسر لماذا لاتعيد انتباها الا لنذر الشر ولكل ماينبىء بكارثه ؟

ولم يكد يهمس بهذه الكلمات حتى انتصبت الى جانبه وتوسل قلقا : « ارجوك ياريس » . واضاف « اخوية » ثم استيقظ، أي حنان تخلل مهجته حين تلفظ بكلمة «اخوية» هذه ، انه لم يؤمن أبدا أنه قادر على التحدث بهذه اللهجة كانت الكلمة ترن في اعماقه بقوة تفزعه .

وما كان يأمل في معاودة النوم ثانية ، وارتفع صوت آخر من بعد الظلام : « اتوسل اليك يا أمي لا تخافي ... أنا أعرف أن هذا النوع من الخوف ينتاب احيانا انك تسمينه القدر . وعلى كل فقد انتابك منذ هنيهات ، لقد رأيته في الحزن الذي غشاك . أتوسل اليك ، اعرفي أن هذه القوة لامكان لها وأن الحياة ليست نكرانا ، لاتنكري رجائي ، استحلفك باندفاعك الامومي . »

وهل يستطيع الرجاء ان يثني ارادة عيني ؟ ما كان أبدا ليمسك عن تكراره . كانت حدود الفرقة تتراجع بينما كانت نتف من الافكار تتعاوره طيور مبعثرة لاحصر لها تطير خفيفة لا انسجام في ريشها . تطير ثم تتلاشى ، ظلال عابرة تنساب على جسده .

كان النعاس قد طغى عليه وكان تعنيف العاصفة قد تلاشى في الفراغ المظلم ، وكان المطر يتساقط بلا انتهاء تتخلله رشقات عميقة تهد أساس المدينة . وخيل اليه فجأة : انه يسمع ... وقفز قلبه ، لاشيء . كف المطر عن التدفق . وغمر هدوء عميق ، لاتعكره نأمه دار سبيتار . كان الهواء يحمل معه برودة رطبة يحسبها الظلام تنساب اليه من فرجة الباب ، وتذكره في غمرة الوعي ، أن عيني وشقيقتيه ينمن وقد تمددن جنبا الى جنب على فرش القش المتراصفة على الارض . أما هو ، وكان يرقد قرب أمه ، فقد كان يلقى منها بعضا من دفء واعاد اليه هذا الاحساس طمأنينته فأغفى .

الفصل الثاني

وتنفست الارض بخارا خفيفا سد كل الدروب وتوقفت الريح وكذلك المطر .

لقد حضن الضباب المدينة طوال الليل حتى اذا طلع النهار تبدت الشمس – وهي تلحس الشوارع – فتية زاهية في سماء كانون واخذت العربات تصخب على حجارة الطريق هي واغنيات الدكاكين الخشبية . كان كل شيء رتيبا حنونا حتى الباعة والحمالين .

لم يكن هنالك ماينبىء بمثل هذه النعومة المترفة . كانت هذه الحيوية تنمو في عالم اسود فهل يعزم الشتاء على أن يخلع درعه الثقيل ؟ كان الثالث لأعلان الحرب واهل تلمسان يترقبون أياما افضل فيها ظل للعدالة .

في هذه الاثناء ظهرت اطياف بشرية وكأنها اشباح عجيبة لقد أخذت هذه الجماعة برجالها ونسائها شيبها وأطفالها تحتل شيئا فشيئا كل احياء المدينة . كان اكثرهم صحيح الجسم ولكنها وهي الكائنات الضالة لم تحس بنظرات الكره التي كان يرشقهم بها سكان المدينة . كانوا يحتملون دون اهتمام معاملة الشرطة المهينة لهم ويبدو ان في اعماقهم دوافع مجهولة قوية تسيطر عليهم وانتشرا هكذا بطريقة مترددة متعبة لاحياة فيها .

ولقد تساءل كثير عما اذا كانوا انصبوا على البلدة منذ أمد طويل فلقد كانت جموعهم تغمر الطرق والساحات ويظهر انهم نفذوا الى المدينة بفضل ايام الشتاء السابقة .

ولم يستطع أحد أن يفهم ماكان يغريهم في البلدة ترى هل جاءوا بحثا عن قليل من الزاد ؟ واذا كان ذلك صحيحا فلماذا لايعودون الى الاوكار التي لفظتهم بعد أن حصلوا على مايبتغون لقد التصقوا الى قلب المدينة . أن أحدا لم يستطع فهمهم . ترى هل يحفزهم حب الاطلاع ؟ يبدو أن لا . لقد ظهروا فجأة وعليهم البساطة واستقروا أنى استطاعوا . كانوا يتأملون الاشياء بعيون خبا وميضها .

كان هؤلاء الشذاذ – وما بيدي أن أنكر عليهم ذاك – طيبين لايبدر عنهم اذى أو شر هادئين يتطلعون الى العابرين لايثير اهتمامهم كبير أو صغير لأنهم ينتظرون ... ماذا ؟ أن الشيطان ذاته يجهل ماذا ؟... ثم يعودون

الى طوافهم الذي لاغاية له ثم يضطجعون أنى دهمتهم طلائع الظلام واذا عصفت الريح بالجو شدوا اثمالهم على اجسادهم واسندوا رءوسهم الى حجر أو درجة ثم غفوا •

كانوا يتكاثرون في الازقة الضيقة وتحت المظلات ، حول اسوار المدينة وامام الحمامات العامة ، على سلالم السوق المسقوف وعلى حواشي اسوار ساحة المشوار التركية وعلى مداخل الفنادق ، في كل الشوارع كانت تدب اشباحهم العجفاء الغبراء القذرة كانوا يزحفون في كل مكان يحمل احيانا بعضهم على ظهورهم اولئك الذين خانتهم قواهم فيسيرون بهم قليلا حتى اذا أقعدهم الحمل جلسوا على الرصيف وكأنهم احجار بريد •

لم يكن في المخازن مايثير انتباههم فليس في واجهاتها الا التافه بالنسبة اليهم • انهم هنا يستقرون حتى يضمحلوا كأنهم بقايا جمر منطفىء •

كان يخيل للناظر اليهم انهم يبحثون عن شيء وحركاتهم اشبه بزحف خفي يبدأ ثم يركنون الى جمودهم لم يكونوا جميعا يمدون أيديهم • كانوا يتقوقعون في أماكنهم وكأن أحدهم يتكدس على ذاته لايريمون مكانهم الا اذا ازعجهم بعض سكان المدينة بحرصهم ويحملقون بالجمهور يتأملون حياته •

وبعضهم كان يتكرم على نفسه كالقنفذ ينام دون انقطاع حتى اذا حاول محسن ان يضع قرشا في راحة يده اضطر للانحناء امامه ولم يكن ليذعنهم أي صوت ••• كانوا شيئا جديدا بالنسبة للآخرين •

ترى هل خرجوا كما زعم كثيرون من الاحياء العتيقة؟ ربما ••• ربما يجنون بعض الدراهم او نفايات طعام ولكن لماذا لايتركوانها بعد ذاك ؟ لماذا يلتصقون بها
ولكن لماذا لايتركونها بعد ذاك ؟ لماذا يلتصقون بها

بعد فترة لم تستطع الحواجز ان تدفع قطيعهم عن زحفه الصبور الى الاحياء الغنية ، الى شرايين الحركة التجارية ، الى احياء المدينة النبيلة ولم يكن يفهم أحد ماذا يربح هؤلاء التائهون من ارتيادهم مثل هذه الامكنة فما خلقوا لها ولا يمكن ان يلائموها • ولكن هل يعلمون ذلك انفسهم ؟•

كانت المدينة تزهو لامعة لمعانا حادا وكأن الطبيعة تحاول ان تمد بأجل الفترة النيرة : البرد القارس والشمس تلمع •

في تلك الحقبة واكثر من أي حقبة مضت كانت كثير من العائلات تنصرف بكاملها للحياكة : النساء يمشطن الصوف او يغزلنه والرجال يمارسون مهنتهم العتيقة • وأخذت عيني تشتري الصوف اللزج وقد اثقلته نفايات التراب والقطن فتنظفه وتعده ثم تحمل لسوق الغزل رطلا او رطلين ـ على قدر همتها ـ من عهنها المنفوش كالثبج •

وكان منظر المعامل اكثر المناظر التي تبعث على الطمأنينة فلقد انقضى الزمن الذي كانت تدور فيه ببطئة ومن لايذكر ذلك ؟ لقد شهد الفجر كثيرا عيني تتسكع مع البائعات طويلا في سوق الغزل ينتظرن من يشتري والامل ضعيف ببيع صوفهن وما نعقت نذر الحرب الاولى حتى سرت فيها حمى لاهبة فلا حي ولا مكان حتى الاحياء العتيقة الا وترددت فيه غمرة من حيوية عمال النسيج ، يستوقف العابر صوت مشط أخرس او قرقعة مكوك عنيفة •

وكانت المغازل تلتهم كل ما يقدم لها من خيوط لايشبع نهمها أي كمية مهما غزرت من غذائها : الصوف •

وضحت مدينة الصناع بنعاسها العتيق وأخذت تتحرك كأنها مدينة صناعية ولفظ الحائكون كسلهم القديم منذ ما اشتعلت هذه النار واخذوا ينتزعون الصوف انتزاعا من يد البائعات مهما كان نوعه وتضاعف فجأة عدد المصانع والمعامل وهي ترسل الى فرانسا دون توقف البسط والاغطية •

وكان الالمان يتقبلون هذا النسيج فيشترونه وزنا دون النظر الى النوع وقد روي انهم كانوا يمزقون مايصل اليهم وينتفونه حتى يحول من جديد مادة خاما •

الليل في المدينة

قصة

بقلم : زكريا تامر

ليس باستطاعتي تجاهل السؤال الذي قفز الى عيني أمي متوسلا بنبرة ذليلة :

ـ هل وجدت عملا ؟

ولقد اعتادت أمي ان تستقبلني بهذا السؤال حالما أعود من الشارع ، وقالت حينما ظللت صامتا :

ـ صاحب البيت أتى اليوم مطالبا بالاجرة •• انها تتراكم •• انه رجل طيب ولكنه انتظر طويلا وللصبر نهاية •

فقلت : ماذا أفعل ؟•• اني أقضي كل أوقاتي كما تعلمين باحثا عن عمل •

ثم خلعت حذائي ، وخطوت الى داخل الغرفة ، وألقيت بجسدي على السجادة الحمراء مسندا ظهري بالوسادة المحشوة بالقش ، فسألتني أمي قائلة :

ـ هل تريد أن تأكل ؟

وهززت رأسي دون أن أجيب بكلمة بينما كان ينمو في اعماقي ذل خبيث • وغابت أمي برهة وعادت بعدها ووضعت أمامي رغيفين وصحنا مليئا بالفاصولياء ثم بدأت ترتدي ملاءتها السوداء • فقلت متسائلا :

ـ الى أين ذاهبة ؟

ـ أختك مريضة •

ومرت فترة صمت انهمكت خلالها في حشو الخبز والفاصولياء في فمي ، وقالت أمي بينما هي تهم بمغادرة الغرفة :

ـ لا تترك باب المطبخ مفتوحا •

أنها تخاف من قطتنا التي كانت في تلك اللحظة مكتومة في زاوية الغرفة •• ناديتها :

ـ بس بس •

فأدارت رأسها نحوي بتثاقل ، وحينما وقعت عيناها على فكي المتحركين وعلى الصحن أسرعت بالنهوض واقتربت مني ، فغمست لها قطعة صغيرة من الخبز في مرق الفاصولياء •• كلي ياقطتي •• ان أمي تصرخ في وجهك دوما : لاتجوعي معنا يابلهاء •• اذهبي الى منازل الاغنياء •• يالأمي المعذبة •• لقد كذبت عليها عندما قلت بأني كنت أبحث عن عمل •• اليوم لم أفعل شيئا سوى أني تهت بليدا فوق أرصفة المدينة • لقد قادتني قدماي الى شارع فخم ، وهناك بين مبانيه المتعالية أحسست بأني لست سوى بقعة سوداء تلطخ سطحا أبيض • وفي حديقة احدى البنايات رأيت كلبا جميلا يداعبه طفل اكثر جمالا منه ، ووقفت ورحت أراقبهما ثم سألت الطفل :

ـ ما اسم كلبك ؟

فابتسم لي بسذاجة وقال : جوني •

ـ ماذا يأكل كلبك ؟

ـ لحم مسلوق •• أنه يأكل كيلو لحم في كل يوم •

وتمنيت عندئذ ياقطتي ان أقول له :

ـ ما رأي أهلك •• ضعوا الطوق الجلدي في عنقي وأطعموني اللحم •

واذا سألني ذلك الصغير ببراءة :

ـ هل تعرف أن تعوي مثله ؟

فسأقول فورا :

ـ حين أضع اللحم في بطني .. سأعوي ليس فقط مثله بل أحسن من كلاب العالم جميعا .

وصاحت فتاة منادية الطفل ، وأدركت من وجهها المتنفخ وبداتها انها تعمل خادما ، وتألمت للغاية حينما رمقتني بنظرة عدائية .

وتحركت قدماي ببلادة بينما ظلت عيناي تحملقان في الابنية الانيقة الجميلة . وقلت لنفسي : ليتني اعيش في احداها .

ياللحلم البهيج .. السيارة تقف قبالة الباب مشدود قربها سائق انيق .. وفي الداخل اساس فخم وخدم يروحون ويجيئون .. سيدي ماذا تأمر .. سيدي سيدي .. طعام كثير .. مال كثير .. ونساء جميلات ناعمات .

ياللحلم البهيج .. ولكنه ليس بحلمي فأنا ما أريده في الحياة لايتعدى بيتا صغيرا بسيطا أعيش فيه مع فتاة لم أقابلها بعد ولكني واثق من أني سأجدها في أحدالايام وسأحبها الى حد العبادة .. وأريد أن لا يمر يوم أجوع فيه .. وأريد كذلك اذا مرضت ان يكون معي نقود لأجرة الطبيب ولثمن الدواء .

كلي يا قطتي كلي .. ان بطنك كبير .. وأمي محقة في تذمرها منك .. ان حياتنا بائسة الى حد لايطاق .. لقد مرت علي شهور عديدة وأنا بلا عمل ، وأبيالمسكين مهما تعب فلن يستطيع لوحده أن يقدم مصاريف البيت ولا بد من مساعدته .. أني أفكر احيانا بنشر اعلان في الصحف بهذا الشكل :

« شاب للبيع ، عمره خمسة وعشرون سنة ، يقوم بأي عمل والثمن تأمين طعام يومي له » .

وبهذه الطريقة سأتخلص من المسؤولية ولكن افلاسي كان يحول دون تنفيذي لهذه الفكرة فالصحف لاتنشر اعلانات بالمجان .

آه ياقطتي يجب أن أجد عملا بأي شكل .. عملا لا يخدش كبريائي .. فماذا يبقى من الانسان ان سلبت منه كبرياؤه .. ماذا يبقى غير كومة لحم نتنة ؟

هل هذا صحيح يا قطتي ؟

أن أبي وأمي وكثيرين من الناس الذين أعرفهم لايوافقونني على هذا الرأي وينصحونني ببلاهة قائلين :

ـ أحن رأسك اذا أردت أن تعيش سعيدا فالرأس المرفوع يشقي حامله .

والآن يا قطتي لم يبق من الرغيفين سوى هذه القطعة .. سنقتسمها فيما بيننا .. لقمة لك .. خذي .. ولقمة لي .. لاتذهبي يا قطتي .. تعالي ..

وحملت القطة وأدنيت وجهها من عيني .. يا قطتي العزيزة .. حياتي بائسة والفقر يشنق اية ومضة فرح قد تعبر قلبي ولكني لن أيأس .. سأزرع الامل في دمي وانتظر بلهفة الشمس السعيدة التي لابد ان تشرق في يوم ما .. وستهب لكل قلب بهجة دائمة حقيقية .. وعندئذ لن ينجح في قلبي أي احساس حاقد لئيم أسود .. ولن استغرب اذا ركضت كطفل مرح في الشوارع التي تحتضن الناس بحنان ، وصرخت بمل صوتي :

ـ أنا أحبكم أيها البشر سواء أكنتم طيبين أم أردياء .

لاتحاولي التملص من قبضتي .. لاتحاولي يا قطتي .. أنت صديقتي .

وفجأة لوت القطة رأسها جانبا في حركةشرسة،وعضت يدي عضة مؤلمة أجبرتني على تركها وأنا مذهول غاضب وانقضضت عليها قبل ان تهرب ورحت أضربها بقسوة جعلتها تموء مواء حادا .. لماذا عاملتني هكذا يا قطتي .. لماذا ؟

وتركتها تفلت من يدي ، ووجدت نفسي اتهالك منطرحا على الارض ، الصق وجهي بالسجادة الحمراء الخشنة وانتحب بمرارة .

دمشق ـ زكريا تامر

أنا بعينيك محمول على ألق

شعر : حنا الطيار

ما أجمل الشهبَ في عينيك تنتقبُ — غِلالةٌ من صَفاء الصحو تَختلبُ

بحيرتان اذا مـا كنت قربَهما — عاش الرجاءُ ومات الهمّ والنصب

تَعلقتْ فيهما عينـاي لا عجبٌ — ان تشربَ العينَ عينٌ ملؤها شُهبُ

أهوتَ على الحسن تجني من براعمه — كالنحل أهوى على الازهار يهتدب[1]

تنقل الحسُّ منهوماً ومنتشيــاً — والحسّ من نَهمٍ يُغرى فينهب

توزع العمقُ فيــه فهو ملتهبُ — لا يلهم الحسُّ الا حــين يلتهب

تَحدّبَ الليــلُ في شطين بينهما — يرسو الظلامُ بنجمٍ ليس يحتجب

شطانِ من باسقات الحورِ وشيهما — كأنهنّ حسان الرقص لا القضب[2]

شطان أُفقهما لونان من لَهبٍ — سيلٌ من النور فوق الدُرّ ينسكب

سَيلٌ وفيءٌ وقِنيان[3] مهدلة — ناء النخيلُ بهــا يهتاجها الطرب

مرت عليها من الواحات ساحبةٌ — ذَيلُ البلال بها من عطرها سحب

تتـابعت صُورَ تغري مواكبها — مواكبُ الخطف من عينيك تختلب

فانهلّ كونٌ وكون في طلاسمه — فراح فيض من الالهام ينسرب

أنا بعينيــك محمول على ألقٍ — وليس في رحلتي غُلٌّ ولا سَغبُ

تخطفتني حِواءٌ كلها حَــذَرٌ — فيهـا ضياع وفيها يُنفثُ الحببُ

---

(١) يهتدب : يجني

(٢) القضب : جمع قضيب

(٣) قنيـان : جمع قنو وهو عنقود النخلة

اصوات الناس

قصة بقلم ادوار حشوة

بجانبي جرس أتحكم به ، أدقه كلما شئت فينتصب أمامي انسان .. انسان بلحمه ودمه وعظمه ، يقف وقفة الاستعداد ويبتسم ابتسامة لطيفة وفي عينيه خضوع وامتثال مسبق لأي أمر أصدره اليه ..

الهاتف يرن بجانبي ..

ـ آلو .. نعم

ـ احتراماتي سعيد بك

ـ أهلا .. أهلا وسهلا

ـ ممكن سيادتكم .....

ـ طيب .. طيب ان شاء الله ..

وألقي بسماعة الهاتف .. واستعيد صورة المخابرة الصوتية في ذهني وأقف منها عند كلمة « سعيد بك » وكلمة « سيادتكم » ثم كلمة « احتراماتي » .. وأبلعها جميعها في افتخار مر .. ثم أشد ربطة عنقي ، وأسعل على طريقة الاغنياء المرفهين . ولم لا أقلدهم .. ألا ينادينى الناس كما ينادونهم ؟.. ألا يقف على باب غرفتي انسان أدق له الجرس فينتصب أمامي كعفريت من الجن وعيناه على شفاهه التي تتحرك آمرة .. تماما كما يفعلون مع عبيدهم ..؟

* * *

لعلهم أخطأوا في مناداتي .. لم يكونوا ينادونني هكذا منذ أيام يوم لم أكن موظفا أجلس على كرسي متحرك جديد مريح وأمامي طاولة جديدة تتبعثر عليها الكتب والاوراق وعلبتان من السجائر في احداهما سجائر فاخرة حقيقية اشتريتها احتفاء باستلامي العمل ، وأخرى من النوع الرديء الذي أشربه عادة الاحترام اذن للكرسي ..للطاولة والغرفة المكتوب عليها « رئيس ... » كم ينافق الناس .. يوزعون الاحترام والكلمات المنمقه دون مقياس .. « سعيد بك » .. « سيادتكم » .. «احتراماتي» الى آخر الاسطوانة المليئة بكلمات النفاق المتداولة .

هل صحيح أنني بك ؟.. لا .. لا أبدا ، لم أكن في الماضي كذلك ، والدي كان عاملا .. لم يكن يملك غير عضلاته ، يحمل الفأس ، يقطع به الحطب ويتجول في أزقة المدينة مناديا « كسار حطب .. كسار حطب » وقد يجد عملا أو قد لايجد ..

تذكرت أيام الجوع .. أيام كان والدي يعود وعلى وجهه سكون مؤلم .. وفي عينيه جمود ، فنعرف سلفا أنه لم يجد عملا وأن علينا أن نقضي هذا اليوم بلا طعام أو بقليل من الخبز الاسود .

سعيد بك .. سيادتكم .. هذا السيل من الكلمات المتداولة في اسواق النفاق ، تزعجني ، تدق على رأسي كأنها فأس والدي وهو يضرب قطع الحطب الكبيرة .

ما معنى أن ينادوني بهذه الكلمات ؟ أيسخرون مني .. من عقدة رقبتي التي اشتريتها منذ ستة أشهر ، بليرة واحدة من بائع للعقد تقف عربته بجانب مقهى الهافانا..؟

أم تراهم يسخرون من بدلتي ، التي تنصحني والدتي أن اعتني بها جيدا ذلك لأنها تتصف بالوحدانية والقدم.. وهما صفتان مقدستان عند الفقراء ..؟

لا .. لااعتقد أنهم يسخرون من لباسي فقط.. يعرفون أن هذا واجبهم تجاه كل من يجلس على هذا الكرسي

ويحمل مثلي شهادة في الحقوق ..!

* * *

لم أكن في الماضي أصدر أمرا .. لأني كنت أكره هذه الاوامر أكره أن أكون تابعا لأي انسان أو امتثل لاوامر مخلوق .. فالعبودية التي كنا نعيش في اطارهـا ، عن الفقراء ، كانت تشدني دائما الى درب الحاقدين والثائرين على الاستغلال والتفاوت ..

والشموع التي كنت أدرس على ضوئها أطفئت كلها .. لم أعد أعمل في الصيف في معمل للبلاط لكي استطيع أن أدرس في الشتاء .. وحتى المدرسة الخاصة التـي كنت أعطي فيها دروس التربية الوطنية والاخلاق بعد حصولي على شهادة الدراسة الثانوية .. تركتهـا وفي نفسي منها صورة مهزوزة فقد كانت ادارتها بلا اخلاق لأن الليرات التي لاتزيد عن مئة ليرة الا قليلا ، والتي كنت اتقاضاها كراتب شهري ، كانت أكبر امتهان للاخلاق التي أدرسها ولكرامتي كأنسان أحمل في جيبي شهادة يقولون أنها ذات قيمة ..

فهذا الراتب لا يمكن بأي شكل أن يكفيني لاشتري كتب كلية الحقوق الغالية الثمن ولادفع رسوم الدراسة في الجامعة ونفقات السفر والاقامة في دمشق أيام الفحوص بالاضافة للطعام .. وللألبسة التي يفترض أن يهتم بهـا المدرس .. لا كما كنت أنا أصبح تلاميذي بنفس اللباس طيلة أيام التدريس ..

كنت اشعر انهم ينظرون الى لبـاسي نظرة اشفاق ، ولكنهم لم يحتقروني أبدا ، كان بيننا محبة لم يغيرهـا فقري ، اذ لم تكن الحياة قد أفسدتهم بعد ، ولعلهـا لن تستطيع ..

* * *

جرس الهاتف يرن مرة أخرى ..

– نعم .. نعم .. أهلا وسهلا

– أيمكن أن تحضر .. نحن بحاجة اليك

– آسف .. آسف جدا .. الساعة الثانية تمامـا لا أستطيع ..

واغلقت الهاتف ..

« السـاعة الثانية تماما » .. هذا هو الدوام .. من الساعة الثامنة صباحا حتى الثانية بعد الظهر .. يجب أن استقبل خلال هذا الدوام الناس ، أن أزيف وجهي قليلا وابتسم دونما اقتناع بالفرح .. فقط لمجرد المجاملة .

حياة مملة .. هذه حقيقة .. أشعر بانقباض رغم أنه لم يمض على استلامي العمل أكثر من عشرة أيام .. ولكن لم أشعر بالملل ؟ أيكون الشارع الطويل الـذي ينتظرني مصفقا ومرحبا ببطالتي باعثا المرح في نفسي أو معللا من هذا الملل الذي أعيشه ؟.

هذه الافكار مزيفة غريبة عند الناس .. ولكن ماالعمل وهي تضغط على انفاسي .. كأنها تقول .. الحياة التي تستمر على وتيرة واحدة مملة ..

ان الانسان يبدو وكأنه آلة .. تبتسم وتجامـل .. وتوقع وتبقى ملتصقة بكرسي متحرك مدة الدوام .. وفي آخر الشهر تبتلع هذه الآلة وقودها المعتاد .. لتعـاود العمل من جديد ..! لعنة الله على هذه الافكار .. الفكرة تجر الفكرة .. هكذا بسرعة اصبحت شيئا هاما يناديني الناس « سعيد بك » ويبتسمون في خضوع ويلتف لسانهم مسرعا ليطلق مجموعة من كلمات الاطراء ! أنا أعرف أنهم يكذبون .. فأبي كان حطابا .. وأنا ابن عامـل استطعت بالكفاح والعرق أن أضع في جيبي شهادة عالية حملتني لأجلس على هذا الكرسي المتحرك ..

* * *

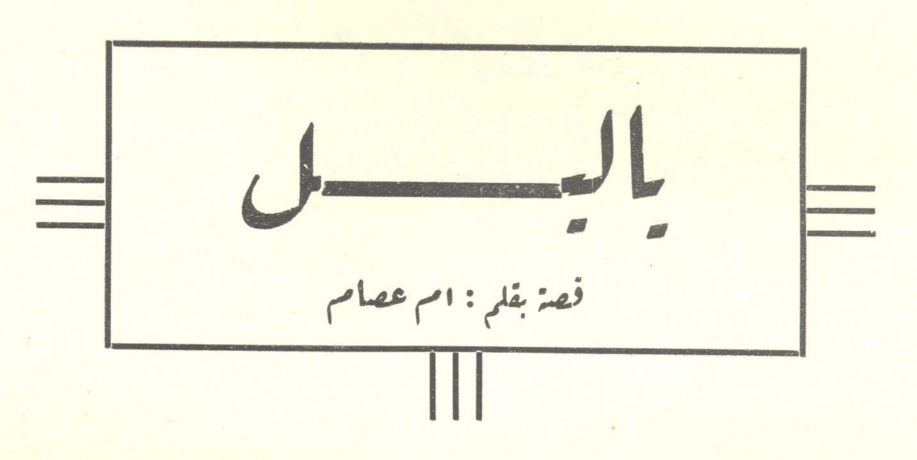
الباب يقرع .. والانسان الذي ينتصب أمامي كلمـا ضغطت على الجرس ، دخل من نفسه هذه المرة ووقف كعمود الكهرباء وهو يقول :

– سيدي .. سعيد بك .. عبد الله بك يدعوك الى غرفته .

وثارت الدماء في عروقي .. حتى هذا الانسان .. هذا المارد الآلة ينافق كما ينافق الناس ..

قلت له – ماذا كان والدك يشتغل ..؟

قال مرتجفا – والدي .. والدي كان كاتبا في المحكمة.



الليل •• الليل ••

ما أقساه !•• وما أطوله !••

ما أبطأ دقائقه التي تمر كدهر طويل •• طويل •• تجثم على الصدر جامدة لاتتحرك •• كأن ركبها مشلول الحركة ••

الليل •• الليل ••

فيه الجمال •• وفيه الحرمان ••

فيه السعادة •• وفيه الشقاء ••

فيه الفراق •• وفيه اللقاء ••

لم هذا التلون ياليل ؟•• لم ••؟ لم ••؟

ألا تشفق على لهفة ذلك الخائف من طلة فجرك ؟••

ألا تشفق على عذاب ذلك المنتظر نهايتك ؟••

ألا تعدل بين الاثنين ؟•• فتهب الاول شيئا من الراحة •• وتهب الثاني شيئا من الرأفة ••

معك ياليل تصفو مشاعري •• ويذوب حقدي ••

مع هدوئك أهدأ •• من صمتك أصمت ••

ولكن أليس للصمت لسان يتكلم ؟••

معك ياليل نهاية شقاء اليوم •• حين تستيقظ أعماقي لتحاسبني ••

لم شقيت ••؟ لم تعذبت ••؟•• وبعد لم سعدت ••؟

معك ياليل تستيقظ ذكرياتي بعد أن غفت •• وقد خلق هذا الجسد المسجى •• لينسى •• ويهدأ •• ويرقد ••

فلم لاترقد معك مشاعري وأغواري ؟••

لقد كان نهاري قلقا ياليل •• ولا أعلم لذلك القلق سببا •• لقد كانت نقمتي صامتة ••

نقمة على الحياة •• على الاشراق الذي يعكس الضنى على النفس ••

نقمة صامتة •• لأن الاعماق تتمنى الكثير •• من مشاريع وأشياء تريد الحصول عليها وما تحققت !!

قلق •• نقمة •• ضياع •• مشاريع ••

وفي مساء ذلك اليوم ياليل قادني ذلك الاضطراب الى جولة أقوم بها في الطرقات •• على ذلك الرذاذ الذي انتثر مع المساء يمسح شيئا عن نفسي ••

الوجوه •• فما رأيت وجها مشرقا •• كل ما رأيته ولاحظته •• كآبة خرساء تلف تلك الكتل البشرية

ـ والدي أنا كان حطابا •• فقيرا ••

ـ سيدي •• الفقراء يرثون الارض ••

وتركت الكرسي المتحرك وأنا اقول في غضب : لا أريد أن أرث الارض •• فقط أريدك أن تناديني باسمي وليس « سعيد بك •• سعيد بك » هذا نفاق •• نفاق •• أنا أكره هذه الالقاب •• تؤلمني •• أفهمت ؟••

ولم انتظر جوابه •• وخرجت من الغرفة ثائرا •• وأصوات الناس تلاحقني •• سعيد بك •• سيادتكم •• احتراماتي وكأنها فأس والدي يضرب على رأسي تماما كما كان يضرب قطع الحطب الكبيرة ••

ادوار حشوة

المتنقلة في الطرقات •• حيرى •• مثلي ••
اقترب مني فتى يقارب الخامسة عشر •• حين امتدت يده تطلب •• وفي عينيه استرحام يقطر ••
ونظرت اليه •• ورأيت فجر أيامه شقاء في شقاء •• يجوب الطرقات ليستجدي العطف والهبة من الناس ••
ما أشبهه بنفسي •• ألست أطوف الطرقات ، أستجدي من الهواء والطبيعة والرذاذ •• شيئامن الراحةوالسكينة •• نقدته بعض المال •• حين شملت عينيه •• وكسا البشر وجهه •• وابتسمت له •• وسرت ••
سرت وأنا أشعر بكآبة تغلف انطوائي •• ألست مثيلته ؟•• لا أجد من يهبني ما أطوف بسببه •• لا أجد من يمد يده ليمسح عن نفسي ما يعذبها ••
كلنا فقراء •• فقراء الى السكينة والاطمئنان ••
وقصدت صديقة لي في آخر جولتي •• وقفت أنتظر الباص •• فاذا بالناس تتزاحم لتحتل عدة مقاعد ••ويسير الباص ويأتي الآخر وأنا أنتظر•• ومثلي الكثير ينتظر••
فدلفت الى سيارة قبعت بجانب الرصيف •• ينادي سائقها « سرفيس » بربع ليرة •• ولم يستمع لندائه انسان •• لقد كان في نظراته استجداء ونقمة •• وهو يتقدم ويتأخر بسيارته •• يسترحم الواقفين بصمت •• وما من مجيب !!••
وانتظرته قابعة في السيارة •• وتصورته يقول لي ••
ــ اعملي معروف انزلي •• لن أسير بربع ليرة ••
لكنه سكت •• وقدرت فيه سكوته •• وسار •• وهو يكبت ثورة في أعماقه •• سار بي وحدي •• وبسرعة عجيبة •• يتلوى بسيارته بين الطرقات والسيارات والباصات ••
ووصلت الى المكان الذي أريد النزول فيه •• اذ قلت له :
ــ هنا من فضلك ••
فأوقف السيارة •• واستدار ليأخذ مني ربع ليرة •• ربع ليرة فقط لطريق طويل ؟!•••
وامتدت يدي اليه •• بليرة سورية واحدة •• حين نشطت أصابعه في حافظة نقوده ليرد لي الباقي ••
فتحت باب السيارة وأنا أقول :
ــ دع الباقي •• لقد أوصلتني لوحدي ••
قال :
ــ لا •• لا •• وماتت الـ « لا » الثالثة على شفتيه حين قلت له :
ــ دع الباقي •• شكرا ••
وانسللت الى الطريق •• ودهشة شاملة تطل من عينيه •• وفم مفتوح حائر •• لايدري ماذا يقول !••
لقد كان الشكر ينطق من قسماته •• وهو مذهول من المفاجأة التي عقدت لسانه ••
وسرت •• سرت الى صديقتي •• وأنا أشعر ببعض الراحة لأني وهبت انسانا •• بعض ما يريد ••
سرت ياليل وأنا أفكر ••
لو ندرك فعل قطرة الندى بين أوراق الزهرة الذابلة •• لصببنا القطرات ••
لو ندرك قيمة الفرنك لدى المحتاج اليه لما اخفيناه وخفنا عليه ••
ماذا علينا لو أسعدنا غيرنا •• طالما نفتقر الى السعادة•• ألا تعكسها لنا الايام في راحة تشمل ضميرنا ووجداننا
لو فكر كل انسان بما يستفيد غيره من عمله بدأ أن يقول ماذا أستفيد أنا ؟••
لو تخلى الكل عن كلمة أنا •• لوهبنا الكثير ••
واستقبلتني صديقتي •• كنت قلقة •• مكتئبة •• ورأيتها مثلي •• مكتئبة حائرة •• لقد كانت في حزن وألم دائم أعرفه فيها •• وتمتمت بكلمات خرجت من فمي واهية •• لأني كنت أحوج منها الى النصائح •• لكآبتي •• وقلقي الدائم •• بدون سبب •
لقد كنت أجد العذر لحزنها •• ولو الى حد ما •• أما هذا الحزن الذي يرافق نفسي دوما •• لا أجد له سببا ولا عذرا ••
لقد كنت أريد شيئا لا أعرف أن أحدده بالضبط ••

أريد أشياء .. وأشياء .. وما أكثر أمنيات الانسان وأحلامه !!..

ولمست صديقتي الوجوم في قسماتي وفيما وراءها .. وسألتني السبب .. وتمنيت أن أغسل نفسي من أدرانها بين يديها لكنني أحجمت .. وامتد بنا الحديث ياليل .. امتد الى أمان أتمناها .. وأحلام تتمناها .. ووصلت الى مشروع يداعب خواطري دوما ..

ولمسته صديقتي أمنية غالية في أغواري .. ثم غابت عني لفترة عادت بعدها تفرش أمامي النقود من فئات المائة وقالت :

ـ خذي ما تريدين يا صديقتي لمشروعك هذا ..

ووجمت .. وجمت أنظر اليها .. وأنا غير مصدقة .. وحارت الكلمات في فمي .. ثم قلت :

ـ ماهذا يا صديقتي ؟. لا .. لا .. لاأريد .. اشكرك ..

قالت :

ـ لا ياعزيزتي .. خذي ماتريدين .. لم أستنكف عن مساعدتك ؟.. طالما في وسعي ذلك ..

لقد هزني عملها هذا هزا .. لقد أسكتني نبلها .. ودست في محفظتي المئات وهي تبتسم .. ابتسامة مشرقة حلوة ..

وسالت عبراتي .. عبرات الشكر .. وخلت أن الدنيا فارغة .. فارغة من الكلمات .. من أي شيء يمكن أن يعبر عن مشاعري في تلك اللحظة ..

تمنيت أن أضمها الى صدري .. أن أغسل يديها بدموعي .. وأن أغسل نفسي من شوائبها .. باخلاصها هذا ..

وعدت ياليل .. عدت اليك لأضمك وتضمني ..

ترى ما أسعدنا لو فكر كل منا بأن يعمل عملا من أجل الآخرين ؟..

ماذا لو كان الكل مثل صديقتي تلك ؟..

عدت ياليل .. وفي أعماقي مشاعر تموج .. ومشاعر تسعد النفس ..

ياصديقتي .. ثقي تماما أن كل كلمات اللغة لو رصدت مع بعضها البعض لاتكفي لتسجيل كلمة شكر لك ..

ياصديقتي .. لو جمعت عواطف البشر جميعا في عاطفة واحدة .. لاتكفي للاعتراف بجميلك هذا ..

ياصديقتي .. أنت أسمى من أن تسمي صديقة فقط.. أنت ملاك .. وأسمى من ملاك ..

ياصديقتي .. لقد وهبتني كل الامل .. وهبتني شيئا كبيرا .. وكبيرا ..

أكبر مما استحق ..

شيئا يسعد نفسي .. يسعد روحي .. ينعش أمنياتي الضائعة هباء ..

لقد حققت لي ماتمنيته طوال حياتي .. ساعدتني في عمل كان حلما في أيامي ولياليي ..

وكان شكري ياليل .. كان دمعات ساخنة جرت على خدي .. تمسح عنه شحوب الخريف .. وكآبة الشتاء .. وتدغدغه بآمال الربيع .. ونسيمات الصيف ..

وعدت ياليل .. عدت اليك لأضمك وتضمني .. وأضم أسراري معي ..

أم عصام

القرى .. والجرذان

شعر : ناجي علوش

« الحق أقول لك انك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات »
« الى عبد الوهاب الشواف بمناسبة المحاكمات الاخيرة »

أنا ارتاع ان شاهدت انسانا

يقول قضى

يقول مضى

يقول الثائر العربي ذاك الفارس المغوار

هوى : فتنفس الجرذان رعبا في « قرايانا »(١)

أنا ارتاع ان نادت ضحايانا

من الموصل أو كركوك أو بغداد ...

من احشاء هذي الارض أو من ظلمة الدور

وتمتم باسمك الاطفال من دوامة الكرب

أبونا أنت ... أدركنا فنحن هنا بغير أب

تصوح نخلنا وأنساب ماء النهر في الاهوار

ونحن هنا نسمر في المدى الانظار

لعلك في سحاب الرمل تأتي أو مع النور

ببعض الخبز والرطب

وبالامطار ...

أبونا أنت قد عشناك حلما في حنايانا

يؤرق ليلنا وينيم بالهمسات بلوانا

فهلا جئت يا أبتاه تحيي من بقايانا

قرى .. وتعيد للآثار

نضارة بابل المحمومة الثكلى وترعاها

وترعانا

حليب أنت لم نرضعه ... أحضان حرمناها

رفيقي انني ارتاع ان شاهدت انسانا

يقول قضى

يقول مضى

يقول الثائر العربي ... ذاك الفارس المغوار

تمزق دون سور البغي خذلانا

لأني عندما قاتلت كنت أردد الاخبار ...

في المقهى وفي الطرقات ... كنت أقول للسمار

فتى عربي

أتى من غيبة الموتى ومن غيبوبة الاقدار

يقود كتائب الثوار

ليجمع من بقايانا

طلائع تدفع الاحياء والاموات طوفانا

رفيقي ... أيها المخذول ... ان نادت ضحايانا

من الموصل أو كركوك أو بغداد

شعرت بأنني علقت اخواني على الاعواد

لأني عندما شاهدت عبد الله (٢)
يقود « عصائب الاشرار » غضبانا
صمت : ولم أقل يا أيها السمار
فتى عربي
وحيدا يدخل الساحات في ذي قار
على فرس تكاد تخر من جوع ومن تعب
يطوف على البيوت مع الضحى ... يتنفر الاحرار
ولكن العيون تظل ترمقه وتدعو الله ...
أن ينقض كالاعصار
ليرمي جيش هولاكو بفيض من حميم النار ...
حسين يذرع الميدان لايبصر فرسانا
تطل من المدى فترد عنه سحابه العطب
حسين وحده يختال بين « عصائب الاشرار »
رفيقي انني القاتل ماشاهدت انسانا
ولم الح يعينيه دما يصرخ بي : خانا
أنا القاتل مازالت عيون الصبية الموتى
تطل علي في نومي رؤى راعشة شتى
ثكالى تجمع الاشلاء أحيانا
تطوف الشارع المهجور ، عل الفارس المغوار
يخرج من خطوط النار
ليرجع للبيوت الغائبين ويجري الانهار
فتسقي كل من ماتوا عطاشا في قرايانا
أنا القاتل ... ما أدفع للتاريخ غفرانا
أأبكي أخوتي ... أأبث محزونين أحزانا ؟
حسين مات والكوفة كالبصرة تدعو الله

أن ينهال بركانا
وأن يسحق عبد الله
حسين مات والآذان في بغداد ...
لايبرح آذانا
بأية نظرة ... وبأي طرف جد مضطرب
أحاول أن أراك اليوم مرفوعا على الاعواد
جراحك تنزف الاحزان ألوانا
وعدتك أمس حين سقطت أن القاك في بغداد
على فرس من اللهب
تفجر أرضها المحرومة المعطاء بالغضب
وتحرق كل ما أبقت سموم الصيف من قصب
ولكني أتيتك قبل أيام من الميعاد
ببعض جماجم الاطفال والأيدي
وبالأثداء
أتمتم باسمك المحبوب خزيانا
واستجدي
جراحاتك غفرانا ...
رأيتك أمس منحدرا من السحب
على فرس من اللهب
سمعتك هاتفا من ظلمة الاحداث اياها :
قد احترقت حصان « أخيل » وانثرت شظاياها
فيا طروادة ظلت بلا أسوار
تسد دروبها المتوجسات عظام قتلاها
أيمحوا الصامدون العار
أتحيي بابل المحمومة الثكلى بقاياها ؟

الكويت ـ ناجي علوش

الشاعر المغامر

شعر : كمال فوزي الشرابي

الى روح الشاعر « عمر بن أبي ربيعة »

مغامرةٌ ... وأُغنيـة جميـله
حياتي كلّهـا ... ومُنىً نبيلـه

عتادي السيفُ ، والاشعار زادي
وخمرُ الحب خمرتي الأصيلـه

أهيمُ على الدروب ، ونارُ قلبي
دليلي ... عَبْرَ رحلتي الطويلـه

على فرسٍ مطهمـةٍ بُراقٍ
تُسابق زعزعَ الريـح الضليلـه

ومعركتي الدماءُ : وضعتُ روحي
على كفي ، فدى المقل الكحيلـه

ووجهةُ غزوتي أبداً جمـالٌ
ولُقيا ... عند خِدْرٍ ... أو خميله

* * *

حياتي كلّهـا خطرٌ جميـل
يفجّر في دمي ... متع الرجوله

حياتي كلّهـا فـرحٌ وضيءٌ
أعيشُ له ، ولا أخشى أُفولـه

وموتي في سـبيل الحب أحلى
منى قلبي ، وأروعهـا فضيلـه

يقولُ العاشقون غداةَ أقضي :
- « فريدُ العشق ... لم نعرفْ مثيله

أراقَ شبابَـه حبـاً وشعراً
وآفاقـاً تنوّرهـا البطولـه

وماتَ ليخلـدَ العشاقُ فيـه
وترويـه الأساطير الجميلـه . »

دمشق — كمال فوزي الشرابي

كأسي أنا

شعر : ديزي موصلي
تعريب : يوسف عبد الأحد

يقال :

اذا أراد الشعراء الكتابة

فهم بحاجة الى الهام ..

أما أنا ..

فأحتاج الى يدك

تلقى بغتة على يدي

لتقول لها اشياء واشياء

تضحك وتتراقص في نظراتك

التي لاقرار لها .

* * *

يقال :

اذا أراد الشعراء الكتابة

فهم بحاجة الى قافية ..

أما أنا

فلا اكتب أبدا

بل أعيش هذه الدموع

التي تغص في حنجرة هذا أو ذاك

الذي يختلق قصة

شبيهة بقصتي

ليخدع نفسه بها

مثلي ومثلك ..

* * *

يقال :

اذا أراد الشعراء الكتابة

فهم بحاجة الى عد المقاطع

مقطعا .. مقطعا

أما أنا

فلا أكتب أبدا

ولكني اجعلك تخرج ..

وبتعبير اقوى

اجعلك تتقيأ هذه الديدان .

التي تتخبط وتتشاجر

في اعماق اعماق احشائك

وخاصة في احشائي ..

* * *

يقال :

اذا أراد الشعراء الكتابة

فهم بحاجه الى تذوق النغمة

فيما ينظمون

أما أنا

فاحتاج الى تحسس

الى تحسس كل قذارة

وتعفن يد تمتنع ..

الى نظرة مراوغة ..

الى ضمير يحتضر

الى صوت يخلو من الانفعال

أو ذلك الطفل ..

الذي يبكي .. ويبكي ..

في قرارة قلبك

انه كذلك يبكي

في قرارة قلبي ..

الفجر ينزف

قصة بقلم : سمير تنير

كنت اغني اغرودة الصباح ، أنا الكناري الازرق ، المحبوس في قفص مغلف في جدار كوخ الصياد .

الفجر يتثاءب والافق مخضب بالنار ، والظلال هائمة تهرب نحيلة في كل الاتجاهات والضوء يطلع من البحر كامرأة عارية تنهض من السرير ...

اغرودتي كانت حزينة ... كانت تقول : « يارب... لم نطعن الاشياء التي نحب ، بنظرة ، بابتسامة ، بكلمة ، بلفتة . يارب ... لم نطعن حبنا ، في الصبا والكهولة بأيدي جمدها البرد والشهوة وأرعشتها الدموع . يارب ... لم نقسو على الاشياء الصغيرة نقتلها من جذورها... نسقيها آهاتنا ... والدموع » .

امواج الغيوم المذهبة تسبح في الفضاء كبجع فوق بحيرة هادئة والجناح الخافق يضرب الصفحة الملساء باجنحة الليل ، فتتكسر الخيوط حوله ، حمراء كالارجوان .

الصياد وابنه لايستيقظان . الفراشة تموت في الضوء . تسقط الى الارض . والذهب يغسل الاغصان ، واعشاش الطيور ... يوقظ الامهات .

سبع نجمات يتلألأن في البركة وسبع نجمات يسبحن على جناح غيمة . وسبع لعنات ترقد في الكوخ ...تلتف على الارواح . وورود حمراء .. كانت ملقاة تحت قدمي ابن الصياد . وأسلاك حمراء كانت تلمع في شعره . كم يكو نالانسان جميلا وهو نائم . أيكون مثل تلك الدالية العجوز التي تعبث بها الريح ، تهز ثمارها !؟ انها سوداء .. سوداء كالليل .

الايدي تلتف ، حمراء ، في السرير . الايدي يصبغها الدم . وردة الليلاك تهتز وسط سهل الاضواء الوردية والنهر يسح الدم ...

في الافق ، اضواء المراكب تتحرك . كشموع يحملها رهبان يطلعون الى الدير . والاوراق تنفض الندى . والاشرعة في الافق اجنحة حمائم .

الصياد وابنه لايستيقظان . امهات الطيور تترك الاعشاش . تستقبل الصباح بالاغاني . الحب في مناقيرها. الحب في عيونها .

الاهداء تقترب ، كنقط عطر . اللغط يقترب . النواقيس تدنو . الورود تتفتح اكمامها . والانوار الفضية تصبغ جناح السماء . والسنونو تسبح في السماء شعلة نار زرقاء .

اغنية حب تدنو من الغابة . الصياد وابنه لا يستيقظان العجوز البلهاء تنفلت من الباب ، فضة الصباح تغبل شعرها تجلس على همزة ، كقلبها ، تجفف الدموع ، وتحلب البقرة . الصغير ذو العيون الزرقاء ، ينفلت من باب كبير يده تمسك الخبز ، انيابه تنهش الزبد . الراعي وشبابته يسيران معا ، والقطيع ، الى الغابة .

الصياد وابنه يستيقظان .

الزوجة البليدة تجلس الى ادوات الزينة تصبغ الشفاه، تسرح الشعر . الزوج الكسول لايفيق . الساعة أمامه .. تدق .. الشمس تشرق ساطعة كالقلب . الفضة تغمر كل شيء .. السنوح والوهاد . الغابة والنهر . البحر ونجوم الماء . المراكب تعود محملة بالاسماك ... بالصيد .الاشرعة تلتفتعد السواري . الصيادون يحملون الصيد الى القرية .. ينادون .. ينادون .

السيارات تولول وسط القرية .المختار يفتل شاربيه. رجال الشرطة يتسكعون . الطيور عادت . الاطفال راحوا الزوجات املحن من زينتهن . والازواج انتبهوا الى دقات الساعة . لكن الصياد وابنه لايستيقظان .

الشمس قرص لهيب . البحر يوشوش . الامواج

تداعب الاطفال •• يبنون قصور الرمل ويهدمونها • البناؤون العرف • البائعون يمسحون العرق • الصخب ينبش الزوايا • الصياد وابنه يستيقظان •

– غلبنا النعاس •
– ضاع علينا الصيد •
– ماذا سنفطر •
– بيض دجاج •
– الدجاج نفقت •
– سنذبح العصفور •

الطفل ذو الاعين الرمادية يقترب • خطواته تملأ قلبي رعشة • يداه قاسيتان • يداه ملطختان بالدم • قلبي ينزف جناحاي يضربان القفص • يده تقترب بالسكين • مابال يده لاترتعش ! سأنفلت من بين يديه • طرت •• طرت •• نقط الدم تتسلل من قلبي • تصبغ الارض والبحر ونجوم الماء • لكني لا أتألم يارب ، قلبي ينزف ولا أحس بالألم • سأبتعد •• سأطير • جناحاي يتهاويان • سأغنيك دوما •• ياطروادة •

بيروت – سمير تنير



اشواق

شعر : جميل علوش

قبلة منك تندي شفتيا ... فدعي الانداء تنهل عليا

أنا حسبي أنني لو لمست ... شفتي الورد غدا الورود ظميا

لو تنفست تلمست بها ... وهجا من برح اشواقي قويا

تفقد النسمة ان مرت علي ... مبسمي ملمسها الغض الطريا

شفة الحرمان تمتص الندى ... من جناحيها رحيقا أو جنيا

أنا لو كانت جراحي عبقا ... لغدا الخلد بأنفاسي شذيا

لو غدت طلا بليلا صيرت ... ذاوي الورد كما شئت نديا

لو تلاشت واستحالت ألقا ... لغدا دربي وضاحا سنيا

وهمى في مسمعي الخلد صدى ... وتهاوى الشجو دفاقا سخيا

أنا أحيا ظامئا احمل في ... أضلعي قلبا بآلامي دميا

كنت بالامس على النبع ولم ... ينتقع غلي وما زلت صديا

ليس يشفي ظمأي محتدما ... ان يرو الناس كأس وحميا

يهدر الحدس بجنبي فلو ... أنا أصغيت تسمعت دويا

وتحسست نداء مبهما ... وتلمست له همسا خفيا

الاحاسيس اذا ما نفرت ... خفقت اشباحها في مقلتيا

وترائيت لها اجنحة ... تتهاوى من كوى الليل عليا

يمثل الخوف لعيني سادر ... في الدياجير سهاما وقسيا

الخيالات اذا ما حومت ... جعلتني للتهاويم نجيا

رفعتني بجناحيها الى ... عالم يستجمع الحسن الوضيا

ترقص النعماء فيه مرحا ... ويرف اليمن خفاقا زهيا
عالم يمثل للطرف به ... كل ماقد كان في الوعي عصيا

يا لليل يسحب الوهم به ... فوق جفني وشاحا ذهبيا

ينشر الخلد أمامي صورا ... ويريني الطيف انسانا سويا

وكأني بالاماني جمدت ... القا يسحر بالطرف بهيا

وكأني بك دوني خفرا ... يأسر القلب واغراء حييا

قسمات يضحك السحر بها ... جل من صاغ الجمال العلويا
كم لقاء سمع الوهم به ... صافحت فيه يدي روق الثريا

خلت اني من سنا الزهر على ... ظمأ مغتبق كأسا رويا

خلت ان الخلد رفاف السنى ... عارض منسكب بين يديا

واذا آل وأطياف رؤى ... كل ما قد ظن حسنا عبقريا

ما أنا في حلمي الا كمن ... راح يستمتح ينبوعا بكيا

أو كمن يرقب شؤبوب حيا ... من سحاب ممعن عنه مضيا

آه لو كان خيال شافيا ... غلة الظامىء لم نلمح شقيا

حلوة الثغر عصتني حيلي ... بحنين عاصف في جانحيا

قد تغنيت فلم تشف الهوى ... أغنياتي بك صبحا او عشيا

وتخيلت فلم تستوفني ... شيعا عنك الخيالات وريا

وتوهمت فلم ينقع صدى ... في فؤادي الوهم جبارا عتيا

وتمنيت ففاتتني المنى ... اذ غدا الظامي عن الورد قصيا

ورأيت العيش حلما فارغا ... حين فكرت بدنياي مليا

يجدب العمر اذا لم تبسمي ... وأكن فيك عن الدنيا غنيا

حلوة الثغر لقاء كاذب ... لم ينضر فيه ثغر شفتيا

لم يعطره شذا من قبلة ... وينوره جبين ومحيا

الكويت ــ جميل علوش

حيث تشرق الشمس

قصة بقلم : رشيد العمري

ربما وصلك ما اكتب ، وربما لن يصل على الاطلاق ... فأنا هذه الايام اتصرف وفق دوافعي وحدها .. فقط ، دون ان أناقش أي تصرف ..

اني لن اتساءل عن سبب كتابتي لك بعد ان حطمت ، بيدك ، بلحظا تماكنت احسبه يمتنع على الدهر ... انك انت الذي ضحى بحبنا ، وفضلت العودة اليه ... « رغم كل شيء » ...

ومع هذا فلن أحاول الاجابة على السؤال الملح ... لماذا ؟ لماذا تكتب اليها ؟..

ان كل ما اعرفه هو اني اكتب اليك واخاطبك ... رغم اني ادرك انك لم ولن تكوني لي إطلاقا ... ومع ذلك فاني اتحدث معك ... وربما ظللت أمدا طويلا اتحدث ... وربما عدلت ... حتى عن ارسال هذه الرسالة ، من يدري ؟!!

ان شعورا طافحا يملؤني ... شعورا لا أدري كيف اصفه ... السعادة ، حتما لا ... انها تعبير واسع جدا غير متناه في ابعاده ومداه ... الهدوء ، الطمأنينة ... ربما ... لا أدري ... ولكني اشعر اني اتنفس بعمق ... وانظر الى بعيد ... بعيد جدا ... وأرى بوضوح .

انه البحر ياجورجيت ، ومن اولى منك بأن احدثه عن البحر ... وانت ابنة الشاطىء التي تخاف البحر ... وتجهل اسراره !!.

لازال هدير الموج يطغى على حواسي ويدغدغ اعصابي ... واشعر باني مازلت اعانق تلك الامواج المتعاقبة ، تتحطم بلطف على الساحل الصامد ... الساحل الذي شهد العديد العديد منها ... ومازال همس تلك الامواج يضج في نفسي ...

« انه البحر هنا في الكويت ... وهو يختلف عن البحر هناك في بلدك ... حيث يطوي الشمس دون أن يصغي لتوسلاتها ، ويقتلها بقسوة وببطء ... ليأخذ من دمها تسفكه وهي تودع المدينة ... ليتخذ من دمها حلية يزهو بها ، وصباغا يطلي به وجهه ، عله يكتسب من موتها ... من عذابها ... من وهج احتراقها ، الوانا زاهية يستر بها جموده ليبدو جميلا فاتنا ...

حقا ! كم يبدو جميلا البحر في بلدكم وهو يطعن الشمس ليغيبها في اعماقه ، تاركا على شدقيه الواسعين خضابا من دمها الراعف وارتجاف اشعتها المحتضرة ... ويقهقه باسما ، وتتراقص امواجه طروبة ، على انغام حشرجتها وانفاسها الاخيرة ...

ولكن الفرحة لاتدوم ... ونشوة الجريمة لايمكن ان تستمر ... فسرعان مايبهت لون الطلاء الدموي ... شأن كل طلاء ... ويعود البحر وقد مسح عن سكينه دم الضحية ... يعود الى نفسه والى الجريمة التي ارتكب ... يعود وقد خفت ضجيج المتعة الشريرة في عروقه ، فيقطب ويسود وجهه ندما وغيظا ... وتبدو في ملامحه التي كانت للحظات خلت فاتنة طروبة كل معالم الجريمة .. .جريمته بحق حبيبته وبحق نفسه التي حرمها منها ... وينقلب الوجه الضاحك الى صفحة كئيبة مخيفة رهيبة ، تحمل طابع القسوة والألم والاكتواء بنار المأساة ...

ألم ترقبي البحر يوما في الليل ... انه كئيب ومخيف ... او أكثر من كئيب مخيف ... انه يمثل ذروة الالم والشقاء وانفجار الندم المدمر .

ويعلو زئيره الغاضب يستنزل اللعنات على نفسه وعلى كل شيء .. ولكن دون جدوى ... فمتى كانت اللعنات

تريح الضمير او تكفر عن الاساءة ••• لذا يعود الى الندم على ضحيته •واستنفار الآلهة ، والصلاة الى روحها علها تبعث مجددا ••• وينقلب زئيره الغاضب الى خداعة وتوسل ••• ينادي روح ضحيته نادما مستغفرا ••• يستعطف النجمة الضالة ، ويستجدي الهلال الشاحب عله يستغفر الآلهة عن ذنبه •••

ويطيل خداعته وتوسله ••• فتعود •••

نعم ••• تعود ، لانها ربة الخير والطيبة ، واهبة الحب والحياة ، تعود ، وقد غفرت له ، في موكب رائع تحفه الآلهة ••• وتطل عليه من خلف الجبال ••• شامخة فوق الذرى ، تتمنع في خفر وحياء عن منحه الحرارة او الجمال حتى يركع ويتمسح عند اقدامها ••• وكم يبدو مؤلما منظره ، في لونه الرمادي الذليل • صاغرا يستعطفها ويستغفر ذنبه الى أن تلين وتصفح ••• وتهبه مرة أخرى دفء الحب والحياة •••

وينتشي بعفو الحبيبة ويزايله العبوس ، ولا يلبث ان يستعيد ثقته بنفسه ••• فينسى جريمته ويعود نشيطا حيا فعالا ••• تواقا الى الحب والجمال ••• ويصفق جذلا للشمس تحنو عليه مادا ذراعيه نحوها في حنان ولهفة •

وفيما هي تقترب ، باسمة يغلبها الشوق ••• تنبعث روح الشر الكامنة في اعماقه•••لايضمها بقسوةويحطمها بين ذراعيه ••• ومن دمها يكسب مايهفو اليه ••• المزيد من الجمال ••• والمزيد من المتعة •

ويلح في ندائها ••• ويفتح ذراعيه هاتفا بهابكلمابعثته فيه شهوته الجامحة من قدرة على التعبير والاغراء ••• وتصدقه المسكينة الطيبة ••• وترتمي بين ذراعيه تقبله بلهفة ••• ويضمها اليه ، بينما يغرز انيابه في ضلوعها ••• ويفتح شدقيه لابتلاعها ••• ولتتخضب شفتيه بارجوان من دمها •••

لا تحسبي يا حنان اني اظلم بحركم بكلامي هذا ، فهو ليس مني • وانما البحر هنا ••• الامواج المتدافعة هي التي تهمس بهذا الحديث ••• انها تتحدث برثاء عن ذاك البحر الارعن المفتون الذي يبحث عبثا عن الحب في وهج احتراق من يحب ••• ذاك الذي يقضي نصف عمره باحثا عن المزيد من الحب ••• ونصفه نادما على التضحية بمن أحب •••

أما هنا ••• فحديثه مختلف ••• انه يختلف كثيرا عن بحر اللاذقية ••• فهو بحر اصيل ، عربي ، واصيل لأنه عربي ••• يصل بين شعوب شرقية تؤمن بالحب للحب ••• وبالتضحية في سبيل الحب ••• انه لم يعرف شواطىء فرنسا الماجنة ولا غانيات روما ولا فاتنات اللاذقية ••• لذا فهو ما زال يؤمن بالحب ، وبالتضحية في سبيل الحب ••• لقد عرف قيسا يهب حياته لحب ليلى رغم زواجها من غيره ••• وعن غاندي يهب وجوده وكيانه في سبيل حب شعبه ••• والانسانية جمعاء •••

انه لا يعرف الا الحب ••• يصفق جذلا مرحا عندما يستطيع ان يمنح الارض الميتة شمس الحياة • ويهبها دفء الحب ••• وعندما تقسو الصحراء الرهيبة على الشمس ••• عندما تلفها برمالها الصماء ••• يقف كامدا حزينا يرقب المأساة بصمت وخشوع ••• انه لايبتهج الرؤية دم الشمس يصبغ افق الصحراء ، انما يكمد لونه ألما ويصمت اجلالا للموقف ••• ليجأر بعدها بالدعاء لروح الضحية او ليصب اللعنات ـ ونادرا ما يفعل ذلك ـ على القتلة •••

لكنه غفور طيب ، يعيش للحب •••لذا يسعى للشمس يسترضيها ويطلب منها الغفران لمن اساء اليها ••• ويحدثها حديث الحب والرحمة والتضحية في سبيل الحبيب ••• وعندما ينجح مسعاه ••• عندما تستجيب الشمس لرجائه ••• يتأبط ذراعها مرحا مستبشرا ليقدمها للناس حبا وحياة •••

آنذاك ••• وآنذاك فقط يبتهج ••• ويفرح للحب يهبه لغيره ••• وتكسوه حلاوة ولا أجمل ••• حلاوة الحب ••• وتشكره الصحراء على صنيعه فلا يزيده هذا الا تواضعا ، ويحمر وجهه خجلا ليغدو فتانا رائعا •••

« كم هو جميل يا حنان احمرار البحر عند شروق الشمس ••• هل رأيت الى وجه عذراء تقابل حبيبها

يا دجلة

شعر : محمود باكير

من هناك ؟

في الشاطىء الباكي الحزين

من هناك ؟

يصغي لآهات الأنين

يصغي لأنات السجين

خلف الجدار الصخر

عند المقبرة

بل عند أعمدة العذاب

من هناك ؟

هل عاصف الظلم اعتلاك

يانهر دجله !

* * *

من هناك ؟

بل ما دهاك ؟

هل عاد هولاكو ؟

هل عاد يملؤك القتاد

بضحية الأمن الوديع

أم غبت من دنيا الشعور ؟

دنيا الشعور

يا نهر دجلة .. يا أمين

أين العرب

أين البطولة

أتنام في دنياك أحلام البطولة

أيموت في دنياك انشاد الرجولة

وتظل في وحل عفن

تجتر من حلم نتن

* * *

وأرى هناك

لأول مرة ... كيف يحمر خجلا وحبا ... انه ليبدو كذلك أو أجمل ... ان كان هناك ماهو أجمل ... وتنبض فيه الحياة ، ببدئها قويا متواضعا يعيش للحب ، ويفرح لأنه يستطيع أن يهب الحب ...

لن استرسل أكثر من هذا فقد انتهى ما اسرت به موجات البحر ... واخشى ان أبدأ بتزييف الكلام على لسانها ... وهذا مالن افعله ... لأني أحب البحر وافهمه ... ولأن لي مقعدا بجواره استمع فيه الى صلاته عند الغروب ... عندما يطلب الرحمة للضحية التي تغيبها الصحراء ...

ارجو المغفرة على هذه الرسالة التي قد تبدو مملة وقد تبعث فيك الرغبة في التثاوب ... ولكنك ستشعرين ببعض الراحة ولا شك عندما تتثاءبين بحرية دون أن تمتد اصبع كنت تكرهينها الى فمك .

واليك تحياتي من حيث تشرق الشمس ...

الكويت ـ رشيد العمري

بين النخيل

بين القصور الشامخة

بين القلوب الصارخة

اعصار ظلم مستبد

يمضي يمور بكل حقد

ويبعثر الاشلاء

ويمزق الاحياء

فيكون في الارض الدمار

ويكون في الصدر القلق

وأراك في جوف الدمار

بتصرف فيه حزق

فأراك

كأنك الطفل الصغير

أمام صندوق العجائب

* * *

من هناك ؟

أيموج في دنيا رباك

رعب مخيف

جور عنيف

وتعيش يخنقك الحلك

أتريد أن أبكي معك

والسخط يملأ أضلعك

كفي اليك قصيدة

قم وانطلق

قلبي معك

روحي معك

واذا صرخت رأيتني

أمضي معك

* * *

الدرب أقفر من ليوث !

حتى متى هذا المكوث

مزق حجاب الليل وامض للضياء

نحو السماء

نحو السخاء

قم مزق القفص الرخيص

وامسح جراحك

أتريد أن تفنى بحلم عابر ؟

وتموت عند رؤى ظلام خاسر

* * *

الموت في دنيا خراب

الموت في جوف اضطراب

الموت في درب عذاب

حتى ترى فجرا سنيا

يجتاح في جنحيه أشباح الفساد

أسمى وأسمى

من قعود أو جمود في المصاب

السلمية ـ باكير محمود

قصة اليوم

شعر : خالد الشريقي

قالوا سكت عن الانشاد والغزل ... ما عهدنا بك انسانا بلا أمل

أين الاغاني يعيش القلب قصتها ... بالامس كانت حديث الواله الخجل

أين الربيع ، وقد حنت خمائله ... شوقا ، الى نسمة معطار لم تصل

والعاشقون ، تراموا فوق اخضره ... كل يصعد ما في قلبه الوجل

والشمس تضحك في عليائها طربا ... والحب يغمر دنيا الناس بالقبل

أين الاماني ، وأين الشوق يصحبها ... أين الرجاء ، نشيد الطفل والرجل

ماذا وراءك ، لو اسمعتنا نغما ... أين الكؤوس ، وفيها بلسم العلل

حطمتها ، ويك ، ماذا تبتغي بدلا ... عنها ، وأنت قتيل الشوق والملل

كنت المغرد ، للسالين تنشدهم ... هل مات فيك غناء الحب والغزل

أم عفت ترديد شكوى البائسين ولم ... تسأل دموعا ، اذا انسابت من المقل

أم خانك الشعر ، لما ردت منهله ... وعشعش البوم في ابياتك الطلل

فيم انطواءك ، قالوا وارتموا عجبا ... قلت اقصروا ، أنا ما غنيت الحانا

* * *

الا لتاريخ قلب في الهوى ثمل ... يشكو المحب ، خفوقا ، عهده هانا

ولا رأيت طيورا تبتني سكنا ... الا ذكرت مع الاطيار ولهانا

ولا سمعت حفيف الغصن منبعثا ... الا سمعت رفيف الجفن اشجانا

هذا أنا ، وفؤادي كان ملتهبا ... الامس مات ، وليل الحب ما كانا

ما عاد قلبي للمحبوب خفقته ... قلبي يفيض على المصلوب احزانا

قلبي مع العرب الاحرار في نجف ... لاقوا الهوان ، وبات الذئب سجانا

يستعذبون مع الأخلاص موتهم
ولم يمت فيهم عزم ، ولا هانا

قلبي لأخت يشد القيد معصمها
لم ترهب الظلم ، لم تجعل له شانا

للجائعين من الايتام في بلد
شطاه صارا ، على الأيام الوانا

للصانعين من التاريخ ملحمة
قلب العراق عليهم بات لهفانا

للنائمين على الاشواك ، بيتهم
في القدس ، يرتع فيه الوحش جذلانا

للرابضين على الاوراس ، مبدؤهم
تحيا الجزائر ، صرنا اليوم قربانا

للصامدين ، أجل قلبي لهم علم
للعرب يخفق في أرجاء اوطانا

لاتسألوني أين اليوم اغنيتي
هذا غنائي ، نشيد الثأر مغنانا

لن تسمعوني أقول الحب في كبدي
والنار تلهبه شوقا وتحنانا

حتى تدوس على الطاغوت ارجلنا
في الرافدين ، ويهوى عرش من خانا

حتى أرى وطني حرا ومنتصرا
والشمل يجمعنا ، نجدا فتطوانا

ولتسمعوني بعد النصر منتشيا
الحب يغمرني ، والشوق قد بانا

الى الأحبة عودي ، انني لهم
قولوا غدا ، عند شط العرب لقيانا

اللاذقية ــ خالد الشريقي

اعلان مناقصة

بالنظر للسرعة الكلية تعلن مديرية المواصلات بدمشق بأنها ستجري في الساعة العاشرة من يوم الاثنين الواقع في ١٩٦٠/٢/١ مناقصة على طريقة الظرف المختوم لأجل تقديم رمل وبحص من السيول لطريق دمشق درعا ٠

الكشف التقديري ١٣٠٠٠ ل٠س

التأمينات ٥٠٠ ل٠س

مدة العمل ٦٠ يوما

جزاء التأخير ٥ بالألف من قيمة المواد التي لاتسلم في موعدها وعن كل يوم تأخير ٠

الاضبارة رهن اطلاع المتعهدين في مديرية المواصلات خلال ساعات الدوام الرسمي ٠

دمشق في ١٩٦٠/١/٢١

مدير مواصلات دمشق
عمر عدنان الشلق

اعلان مناقصة

بالنظر للسرعة الكلية تعلن مديرية المواصلات بدمشق بأنها ستجري في الساعة العاشرة من يوم الاثنين الواقع في ١٩٦٠/٢/١ مناقصة على طريقة الظرف المختوم لأجل تقديم ٣٠٠٠ م٣ من الرمل والبحص المستخرجين من السيول لتقوية جوانب طريق دمشق حلب ٠

الكشف التقديري ١٠٠٠٠ ل٠س

التأمينات ٣٥٠ ل٠س

مدة العمل ٦٠ يوما

جزاء التأخير ٥ بالالف من قيمة المواد التي لاتسلم في موعدها وعن كل يوم تأخير ٠

الاضبارة رهن اطلاع المتعهدين في مديرية المواصلات خلال ساعات الدوام الرسمي ٠

دمشق في ١٩٦٠/١/٢١

مدير مواصلات دمشق
عمر عدنان الشلق

الخاتم الذهبي

قصة بقلم : ياسين رفاعية

كلما هبطت عينا ي نحو يدها اليسرى ، وبرق الخاتم الذهبي اللامع في اصبعها أشعر كأن قلبي يختلج وان خنجرا حادا يغوص فيه بلا رحمة .

كانت كلما رحت لها اطرق الباب طرقتي المعهودة ، تسارع وتفتحه ، وابتسامة قاتلة لاتفارق ثغرها ، ويصعد الدم الى وجهي ، وأحس بثقل في رأسي ، واظل صامتا .. وامد يدي الباردة مصافحا ، لتلتقي بيدها الحلوة الدافئة ، واتمنى لو تظل يدها معانقة يدي الى الأبد . لكنها تسحبها بسرعة ، وترحب بكلمات هامسة مقتضبة ، وتدعوني الى الجلوس ، والصمت مايزال يعقل لساني . يمنع كلمات كثيرة أريد أن أبوح بها من التسرب الى لساني ، وتقوم وتقعد ، وتذهب وتأتي ، وتملأ البيت حركة ، فهي كالعصفور الصغير تنتقل بخفة من مكان الى آخر . من غرفة الى غرفة ، وأنا بلا كلام ، وتعود تسألني عن هذا الصمت المقيت ، وانظر اليها مليا بعينين كئيبتين وأنا أجيب : لا شيء مطلقا سوى انني لا أحب الكلام عندما أكون معك ، وترفع يدها ببطء تمسح جبينها الواسع ، لعلها تريد في هذه الحركة ان تذكرني : انها متزوجة .. وهاهو الخاتم الذهبي اللعين يشير الى ذلك .

كنت اتمنى أن يأخذها غيره ، فتغيب عن أفق حياتي الى الأبد ، وانساها .. ولا أترك في نفسي لها سوى ذكريات حزينة.. تأكل أيامي المضناة وتدفعني الى الغوص في اعماق النهاية رويدا .. رويدا .. ولكن أنى لي أن أنسى ، واصبح لزاما علي أن أراها أكثر بكثير من رؤيتي لها قبل الزواج به .

ومع هذا أراني جبانا ، كان علي أن اعترض ، أن أقف بوجههم ، أن أقول لهم : انها لي ، ولكن لم أفعل من هذا القبيل شيئا ، وكم كرهته وتمنيت لو أقتله ، عندما صار يتحدث أمامي عن الاثاث الذي يجب أن يفرش به منزله ، كان يستشيرني ، فلا أجيب ، وأبصق على الارض قرفا ، ويلوح الغضب في عينيه .. لكن سرعان مايزول ، وتظهر ابتسامته الساذجة مرتسمة على فمه الواسع ، ويعود يسأل الأم – لكم كانت أمنا فرحة – فتقول له : يجب أن يكون الخشب من الزان ..والقماش ذا لون زيتي ، ولا تنسى البذلة في أن تكون ذات لون كحلي .

ولا أطيق الجلوس ، فأخرج مسرعا ، واتخطى حينا المظلم بلا أنوار ، الى الشارع القريب منه ، وآخذ الرصيف جيئة وذهابا ، بخطوات بطيئة ثقيلة تقرع في قلبي كالطبل .

« ماذا تنتظر ؟ لماذا لاتجرؤ على القول : انها لك وانك متفق معها على ذلك – أين الشجاعة المزعومة التي كنت تفخر بها أمامها ؟ ثم أين عهدها .. لماذا لم تعترض هي من طرفها لتشجيعك على الاعتراض ؟.. صحيح .. لم يخطر في بالنا مطلقا ان يكون هو طالبا ليدها .. ما أخبثه ».

فجأة تقول له الأم: متى نفرح بك يابني، وتنفرج عن فمه ضحكة عريضة ليتسرب الفرح الي « بعده .. استطيع ان أقول لهم : أريدها .. » ولكنه يعود ويقول لها بعد ضحكته مباشرة : اريدها يا أمي .. ويشير الى بيتها .

وشعرت بالفزع •• وكدت أقوم واصفعه ، ولكنني لم استطع ان أخلع نفسي من مقعدي ، فدقات قوية قاسية أخذت تجوب في قلبي ، وانقبض صدري حتى ضاق بعظامه ، والأم تجيب : لن يبخلوا بها علينا يا حبيبي مبروك ، كانا ينتظران مني أن أقول لهما هذه الكلمة ، لكنني لم أقلها ، فقد زعمت لنفسي : انه لن يستطيع أخذها مني •• فهي لي ••

وكان حدس الأم غير مخطىء ، فلم يبخلوا بها عليه ، وكدت أقتل نفسي ، فالأمر يسير في جدية مؤلمة «المهر •• الاثاث •• البيت •• »

يا الهي

كل شيء يمضي عاديا ، الخاتم الذهبي رأيته ،وامسكته في يدي ، واصدرت عليه حكمي ، وقبضت كفي بشدة تريد أن تخنقه ، ونظرت اليه ، وتمنيت لو يكون انسانا لاقتله •• ـ كم كان فكري يشرد نحو القتل ـ فهو سيكون سبب شقائي وتعاستي •• هذا الشيء الصغير من الذهب ، سيأخذها مني ، سيقف بينها وبيني •• حقيقة « ان الاشياء التافهة كثيرا ماتكون سبب تعاستنا وشقائنا »

ويسألني الغبي : أجميل هذا الخاتم يا أخي ••؟

ترى •• أيشمت بي في مثل هذا السؤال ؟ ويحه ••

وقمت بعد ان قذفت الخاتم في وجهه ، وخرجت من الغرفة كالقذيفة ، وما أن أخذت الوسادة رأسي ، ولفني ظلام غرفتي ، حتى انفجرت باكيا وأخذ الدمع يغسل الوسادة الناعمة ، رحت العن القدر ، وأسب الزمن ، واشتم حبي « أيمكن •• لو قلت له : أحبها •• ان يتركها لي ••؟ أفي هذا الوقت تسأل ؟ وبعد ان انتهى كل شيء •• وهل يمكن ان تجد الماء بعد ان تركت النبع الغزير الى قلب صحراء مقفرة ••؟ ما أغباك في هذا السؤال ••؟»

وتعم الفرحة بين البيتين ، الا قلبي الحزين ، واشعر بذاتي انه مات ، ولم أعد أجد في نفسي سوى انني حركة هيكل تدب في الحياة قسرا •

ـ لا •• لن أستقبل أحدا

وتصيح أمي مؤنبة :

ـ انك أخوه •• ومن يستقبل الناس غيرك ؟ ألا تفرح له •• ؟

ولا أجيب ، أطرق برأسي نحو الارض • وتلعب دمعتان في قلبي أخفيهما عن أمي « كيف أقول لها : لقد نزعها مني •• وأخذها رغما عن قلبي •• أخذ سعادتي• أخذ كل آمالي دفعة واحدة •• كيف لي أن أستقبل اولئك الذين وفدوا ليهنئوه : انه استطاع ان ينتصر علي •• ويأخذها مني ؟ يا لتفكيرك الضيق يا أمي ••؟ »

« ولكن كيف لها ان تعلم مايدور في خلدك •• وما قد حدث بينك وبينها ؟ أفليس من حقها ان تطلب منك أمرا عليك ان تفعله من تلقاء نفسك ، ومن لأخيك غيرك •• تفرح به •• ويفرح بك »•

وارفع رأسي نحوها ، فتقول كأنها تستغيث : قم يابني •• قم أرجوك ، واجيبها : انني مريض يا أمي •• لن أستطيع •

وتنفجر :

لماذا بدأت تكرهه منذ مدة قريبة ؟! ماذا فعل معك ؟ لم يسىء اليك أبدا •• وفي هذه اللحظة • هو بحاجة اليك ؟ وأنت تبخل عليه بأوقات قليلة ، لكم سهر طويلا عندما أصابك المرض الى سنين خلت •• لكم أرق الليالي الطوال لأجلك •• لكم وهب عصارة قلبه في سبيلك •• أتنكر الجميل بهذه السرعة يا بني ••؟

وما أريد أن اجادلها أو اخاطبها وهي لاتعلم من أمري شيئا •• ووقفت ، ودخلت مكان الاحتفال ، وقمت بواجبي على أكمل وجه ، كنت أتمزق من الداخل وقلبي ينفطر

ألما كلما سمعت من الضيوف كلمة « عقبال عندك » وهي كلمة لا أريد أن أحققها •• لأن التي كنت أتمناها قد ذهبت •

ومرت الليلة وأنا مسهد ، لم يتسرب الكرى الى جفني مطلقا في هذه اللحظة أخذها الى سريره ، في هذه الدقيقة يقبلها من نفس المكان الذي كان لي يوما ، من نفس الشفاه التي كنت آمل أن أقبلها •• يالقوتك ياأخي •• أنا اليوم مصاب بمرض مؤلم • وأنت سبب هذا المرض •• أين دموعك لأجلي يا أخي •

ومرت أيام ، أخذها في رحلة طويلة قضى فيها شهر العسل ، وكنت خلاله اغرق في آلام قاسية ، تمنيت لو أكون حرا من هذا القيد الذي بدأ يضيق على قلبي ، ويأخذ مني انفاسي ليتركني كمن يعالج سكرات موت في حالة اختناق •• كنت اشعر بضيق •• حتى انني هجرت كل شيء يربطني بالماضي •• حتى السطور القليلة التي تركتها لي على عدة صفحات ، تعاهدني على الوفاء •• والانتظار من أجلي •

واصبحت لا أدخل البيت الا لماما • في آخر الليل ، كنت أبتعد الى ظاهر المدينة ، وأبكي أحيانا بصوت مخنوق وأنا ما اعتدت البكاء منذ الطفولة ، كنت أجد فيه انزالا من قيمة الانسان •• واذ بي لا أملك في تلك اللحظات ارادتي ، ولا أستطيع ان أطبق تلك النظرية •• وأجد الدمع أقوى من كل شيء •• ويندفع من عيني رغما عني •• وينساب كأنه يقص للظلام آلامي ••

وعاد أخي ويده بيدها ، ومعه هدايا لي اختارتها هي ، وصافحتها ، ثم لمحت الخاتم في اصبعها كأنه يشير الي •• ان قف •• لاتأمل هذه التي تأخذني في اصبعها •• اصبحت ملك انسان من لحمك ودمك ، ملك أخيك الذي يحبك وكرهته من أجلها •• قف •• وامضي في طريق أخرى ، وابحث عن غيرها •• فالمدينة مليئة بالحلوات • وأخذت الهدايا وهربت الى غرفتي ، كانت حقيقة هدايا أحبها ، وعانقتها ثم بكيت •• وكم أصبحت سريع البكاء •

وتمر أيام •• ويبحث أخي عن بيت في بناء حديث ، فليس بمستطيع أن يعيش بيننا مع شقيقاتي وجدتي وعمتي •

ويجد أخيرا •• فيأخذ تلك التي هي قطعة من قلبي ويمضيان الى البيت الجديد •

واصبحت مشدودا الى هذا البيت بخيط رفيع ، ولكنه متين ، كنت احاول أن أظل أياما بدون رؤيتها •

ولكن •

لم أكن استطيع ، فتركت نفسي على سجيتها ، واصبحت أمضي كلما شعرت بحاجة لرؤيتها ، للتحدث معها ، للنظر في عينيها البنيتين الغامقتين ، وأجلس صامتا تعصف في قلبي تلك الريح القاسية ••• وتزأر بوحشية بالغة •

وتأتي بوعاء مليء بالفاكهة ، وتجلس قدامي • تأخذ سكينة صغيرة • ترفع بها القشور • ثم تقدم لي ، وأنا آخذ الى فمي ، واتمنى لو ترفع القشور العالقة بي ، لتجد مايرتع في نفسي • وما يصرخ في قلبي ، كنت أتمنى أن أقول لها كل شيء ، أن احدثها دون الاشارة انها زوجة أخي ، واحاول ان أجمع شجاعتي ، لأضع أمام عينيها الماضي ••• فيصدمني ذلك الخاتم الذهبي البغيض ، فأفر منها ، وأفر من نفسي ، ويتلقفني الشارع ، فأحلم : انها كانت لي ، ويجيب الواقع الأليم : ولكنك فقدتها الى الأبد •• وقلبك اصبح بين جنبيك بلا حياة •• اتراك تستطيع الحياة في وحدة قاتلة وفي صدرك ريح تزأر ؟••

ياسين رفاعية

« هاندي »

للكاتب الاميركي : ايرسكين كولدويل

ترجمة : أسامة القوتلي

أحد لا يدري من أين أتى وأين يذهب هاندي لدى غيابه • كان بوسعه قضاء عشرا أو يزيد من السنين لو لم يقتل الجد برايس •

والجد برايس كان مسنا نكدا يقضي النهار بطوله يثير المشاكل ، ويوجد الاخطاء • ولو ترك وشأنه فما كان على أية حال ، ليعمر طويلا •

لكن هاندي رمى الجد برايس بعجلة • وفي تلك الليلة توفي العجوز • فترتب على هاندي حزم المتاع القليل الذي يملك والتهيؤ للرحيل الى مكان ما يعيش فيه •

وانتقده هاري منفورد :

– كان عليك أن تنطوي على منطق أسلم •

أجاب هاندي :

– لم يكن للمنطق في الامر دخل •

– سيان الامر • فبئس ما فعلت •

وعاد هاندي يقول :

الرجل بكليته يجب الا يكون خالق مشاكل ، فالذين ينفقون حيواتهم في ابداع الاشياء ليس لديهم الوقت لايجاد أخطاء الآخرين •

أجاب هاري :

– وان صح ذلك فما كان لك أن تفعل بالجد برايس مافعلت •

ان بالامكان قضاء يوم كامل في تعداد الامور المثيرة للمشاكل صراحة من اقوال وافعال الجد برايس خلال العشر أو الخمس عشرة سنة الفائتة ، عندما كان يخرج عن المألوف لينتقد : قلة المرق فوق الفرخة ، أو كثرة السكر في محلي البيض والحليب • ويروح يخاصم حول وقت النهار الذي يكون آنذاك : احيانا عندما يكون الوقت صباحا ، يقول يجب أن يكون عصرا ، وان كان الوقت ظهرا ، يقول يجب أن يكون فجرا ، ثم يثور ويغور لو قال احدهم : وقتالظهرخير كغيره منالاوقات•

قبل وفاته بأيام ألقى بكلكله على هاري : المدخنة قد لاتكون عمودية • هذا ما أثار حفيظة هاري حتى كاد يفقد صوابه •

وصاح بالرجل المسن :

– وان لم تكن فما القصد ؟•

قال الجد برايس :

– اذا لم تكن فيجب أن تكون •

عند هذا بلغت سورة الغضب بهاري حدا جعله يذهب ويأتي بمطمار ويسقطه على المدخنة • لقد كانت تجانب العمودية بثخن انش فقط •

وصاح هاري به :

– يجب أن يحملك هذا على اطباق فيك من الآن فصاعدا !!•

قال الجد برايس :

– لن أطبق فمي ، المدخنة ليست عمودية وأنت تعلم ذلك • يجب هدمها واعادة بنائها صحيحا • وأنهى هاري الكلام بأن قال :

– فوق جثتي •

فيما تبقى من النهار ، وخلال العشاء علا ضجيج الجد برايس لعدم استواء المدخنة حتى آوى تلك العشية الى فراشه • وقد نعت هاري وآل منفورد جميعا بالكسل والتفاهة والاهمال • وتتبع هاري حول الدار في اليوم التالي ليخبره بأن كل من يؤيد وجود مدخنة عمودية ليس مواطنا صالحا •

قال هاري مخاطبا هاندي :

ـ كلما أمعنت النظر في الامر ، كلما زدت يقينا بأنه ما كان من حقك الاقدام على ما فعلت •

واستطرد يقول :

ـ •• وشعرت مرارا برغبة لأتناول آجرة او عتلة وأنجز العمل بنفسي • والمرء ليس بمقدوره قطع أرجاء المعمورة عاديا على الطاعنين في السن هكذا ، مهما بلغت به الاثارة • القانون يحول دون ذلك •

أجاب هاندي :

ـ لم أعد سيد هاري أتحمل مدة أطول ، آسف أنا على ذلك الآن • أما حينذاك فلم يكن مما ليس منه بد•

أمضى هاندي هناك عشر أو اثنتا عشر سنة • وكان موسم جني القطن في انتصاف حين جاء أول ماجاء باحة الدار الامامية ودخل وقال : انه يبحث عن شيء يصنعه • وبحاجة كان هاري لجناة القطن اكثر من أي وقت آخر، ومن دواعي غبطته أن يرى أحدا يأتي سائلا عملا • وكان على استعداد لاستخدام هاندي •وأعلمه بأنه في الحقول يدفع ستين سنتا بالمئة ، وهز هاندي رأسه ، كأنه ادرك حقا مراده ، فما قطاف القطن بغياه ، ثم قال :

ـ لا أيها السيد ، لست بقاطف قطن •

أجاب هاري :

ـ هذه الايام لست بحاجة لأحد • القطن يتساقط أرضا ، وبسرعة يوما فيوما يبلى • هذا ما يهمني الآن •

ـ انك بحاجة دائما لشيء جديد أو لشيء مصنوع من قديم •

ـ ماذا تقصد ؟•

وأردف هاندي :

ـ صانع أشياء أنا ، آخذ مايلقى وأجعله نافعا • وفي صنع شيء أرغب احيانا لمجرد أن ذاك أمر جميل •

وتناول عصاة خشبية ، أحد لم يأبه بما انتوى عمله • ونظر هاري اليه نظرته الى رحال • وسأله ما اذا سبق له العمل في الحقول ؟ فأجابه بالنفي • وسأله هل سبق له العمل على السفن البخارية النهرية ، لا : قال هاندي أو في محالج القطن ، أبدا ! ، أو في السكك الحديدية : لا! فهز هاري رأسه ونعته بأنه متشرد •

وسحل هاندي قطعة الخشب بنصل السكين ، وقدمها لهاري • لقد كانت أنعم ملعقة خشبية نحتت ، رآهـا انسان • بدت كأنها سحلت بورق الزجاج ولمعت بحجر الصقل • زد على انها لم تأخذ من هاندي سوى مدةوقوفه هناك لانجازها • وقلب هاري المعلقـة مرارا بين يديه وتحسسها • وابتسم لهاندي • من يصنع شيئا كهـذا يستحق سكينا خيرا من سكين هاندي •• أخرج هاري من جيبه سكينه وقدمها له •

أحد لم يعاود امامه الحـديث عن قطاف القطن في الحقول • ولبعض الوقت تجول هاندي حول فناء الدار ممتعا الطرف بالاشياء ، ثم استدار خلف الدار وتطلع الى مستودع الغلال والزريبة ، وكن الصيصان ، وشاهد جميع أماكن بيض الدجاج • ثم راح من بعض قطـع الخشب التي وجدها في مستودع الغلال ينحت بيضـا للتفريخ • فاذا به أملسا بني اللون أعجب الدجاج البياض أكثر من أي نوع آخر •

وبعد أن أوفى على ست أو ثماني بيضات تفريخ ، وجد شيئا آخر يعمله • ولم يسبق له سؤال هاري ما اذا كان يصلح لصنع شيء ما ، أو اذا هم راموا شيئا مصنوعا • فقد مضى في طريقه يصنع ما يشعر بميل لصنعه • كانت الكراسي التي صنعهـا هاري اكثرها في المنزل اراحة ، وعوارض المحاريث كذلك أشدها في المزرعـة صلابة ، ودوارات الريح ألطف الدوارات في الريف •

قال هاري :

ـ علة الجد برايس أنه لم يـكن يشبـه أيا منا • تشابهنا سببه أنني أعمل على استنبات الاشياء في الحقول ، وتجهد انت في صنع الاشياء بيديك • الجد برايس لم ينطو على هذا الشعور ، فمنتهى مراده ايجاد الخطأ فيما يستنبته أو يصنعه الغير •

كان هاندي حزينا مغتما • وأدرك أن أمامه وقتا طويلا كي يجد ملاذا جديدا فيه يتركه الناس يستقر ويصنع

الاشياء • سيكون بمقدوره حتما التوقف ، بين الفينة والفينة ، على طول الطريق ، ليصنع لأحدهم كن صيصان أو ليبني زريبة خنازير • لكنهم سيقدمون له حالما يفرغ من عمله ، وجبة الرحيل أو زوج سراويل رث ويطلبون اليه متابعة الطريق • كان على بينة من المشاكل التي ستعترضه في العثور على من يسمح له بالاقامة وصنع الاشياء فقط • بعضهم سيعرض عليه مهمة الحراثة في الحقول أو العمل في سفينة بخارية نهرية • وعبر هاندي قائلا :

ـ من قطع الخشب أريد صنع الاشياء ، بأصابعي أود بناء الاشياء •

سيبتعد الناس عنه ، سيغلقون دونه الباب • ولم يتمالك البقاء هادئا • يداه بدأتا ترتعشان •

فسأله هاري :

ـ هاندي ماذا دهاك ، ما الذي جعلك تختلع هكذا ؟ لاتدع ماحدث للجد برايس ينال منك !•

ـ ليس الخطب هذا ، انه شيء آخر •

ـ وما هو ؟•

ـ سيضنيني الافتقار للمأوى الجديد الذي فيه أنصرف لصنع الاشياء •

أجابه هاري :

ـ أشد ما أكره رؤياك ترحل • فذلك لن يبدو لي حقيقة أبدا •

وآلمه كثيرا التفكير برحيل هاندي فلم يحاول النظر اليه • وأضاف قائلا :

ـ لكن الشريف سيجعل الامر صعبا علي ، اذا خشيت اخباره بالحدث •

اليوم التالي لوفاة الجد برايس كان اليوم • وتوجب اخبار الشريف بالامر قبل مواراة الجد برايس الثرى •• وأردف هاري برنة أسى :

ـ مهما يكن ، فلن أقوم بالتبليغ • ذلك يعني ترحيلك أي هاندي • ولن أمكن الشريف منك عندما يحضر ، ولو اقتضاني ذلك ترحيلك مرارا •

التفكير بالامر سبب لهاري ألما ممضا • فلم يطق البقاء وتمليك النظر في هاندي • فنهض وسار بعيداوحيدا عندما عاد ، هاندي لم يكن هناك • ولتوه شاهد رأس هاندي يعلو وينخفض وراء سور مستودع الغلال •وشعر بالارتياح • بعد قليل ولج الدار ليبدل ملابسه ويرتدي بذة العمل والقميص النظيفين • كان عليه تغيير ثيابه قبل ذهابه الى المدينة • ولم يقم حائل دون استغلال ماشاء من الوقت لفحص زوجين أو ثلاثة من بذاة العمل قبل أن يقرر أيا منها سيرتدي • كان دوما يسره أن يرى شخصا كهاندي بقربه • فهاندي كان أما يصنع شيئا أو في سبيله الى صنع شيء • ذلك ما أحبه في هاندي • فكان كالاطفال لدى أوبتهم من المدرسة الى دورهم أو في أيام العطل • يكونون دوما مشغولين بشيء ما ، لعبا كان أم عملا • يكونون يقظين كل دقيقة • وخشي اذا ما بلغوا أشدهم أن يصبحوا كالجد برايس يمضون أوقاتهم في ايجاد الخطأ عوضا عن صنع الاشياء •

ولدى خروج هاري أخيرا الى الفناء ، كان الوقت بعيد العصر •

ـ لا أرغب في الذهاب الى البلدة في هذا الوقت من النهار •

قالها متطلعا باتجاه مستودع الغلال ، حيث كان هاندي ثم الى السماء ، والى مستودع الغلال ثانية :

ـ ذلك يعني عودا متأخرا • بعد هبوط الظلام •

تجول هاري حول المنزل واجتاز الحديقة • واستحث الخطى أخيرا الى فسحة مستودع الغلال • كان العجب يستبد به أكثر فأكثر طول الوقت • لماذا يقضي هاندي كل هذا الوقت هناك ؟ وكان قد رآه يخرج مرارا حتى باب المستودع ، فيلقي ببعض الهشيم والنسرات ثم يختفي ثانية •

وخيم الظلام سريعا • لم يعد هاندي يرى حتىالصباح التالي • كان يجلس الى الطاولة يتناول الافطار عندما وافاه هاري واتخذ مجلسه • ووقف هاري مجددا مستفسرا فجأة :

ـ ما هذه ؟٠

أجاب هاندي :

ـ هدية صغيرة للجد برايس ٠

ـ لكن الجد برايس قضى نحبه ٠

ورد هاندي :

ـ قد صنعتها ليتقلدها في الرمس ٠ رغبت دوما أن أعمل شيئا له ٠ وخلت أنه لو كان حيا لوجد فيها من الخطأ الكثير ، مما حدا بي متابعة الاخطاء فيها من جميع النواحي كي أرضيه ٠

واذا هي سلسلة خشبية بطول قدمين ، كل حلقة فيها مختلفة عن الاخرى ، وبحجم ظفر الاصبع وقد نحتها هاندي من اولها الى آخرها منذ عصر اليوم الفائت ،مقيما الليل الى الفراغ منها ٠

ـ لو كان الجد برايس على قيد الحياة يا هاندي ، لبلغ من شوقه الحصول عليها ألا يجد رغبة في ايجاد أي خطأ بها ٠ لم أر فيما حييت هدية أجمل من هذه منظرا٠

جلس هاري والتقط السلسلة ليمعن فيها النظر عن كثب ٠ كانت أول حلقة رآها تمثل كرسيا مصغرا ٠٠ أرجله الثلاث أقصر من رجله الرابعة ٠

ـ لا أعتقد أن أحدا غيري يذكر حينما حاج الجد برايس طويلا حول كرسي كانت احدى ارجله أقصر من البقية ، أقول ان رجلا واحدة كانت أقصر ، في حين قال الجد برايس أن أرجله الثلاث قصيرة وواحدةطويلة حتى ذلك الحين .كانت تلك أكبر مشاحنة بيننا ، أليس كذلك هاندي ؟٠

وأومأ هاندي برأسه ٠

انكب هاري ليستبين ماهية المواضيع الاخرى ٠ كانت واحدة محفورة لتماثل جانبا من السماء تسطع الشمس فيه وتتلألأ النجوم في الوقت نفسه ٠ وموضوع آخر : كان صورة ضمن اطار تبدو مقلوبة بأي اتجاه أديرت ٠ أبعد هاندي كرسيه ونهض ٠ وقال هاري :

ـ هذه ياهاندي أجل من أن توضع في قبر ٠ دفن شيء في التراب كهذا لايتيح لأحد مشاهدته ٠ فأجاب هاندي :

ـ لقد صنعت السلسلة هدية لتعلق حول عنق الجد برايس ٠ لهذا السبب صنعتها ٠

ورد هاري هازا رأسه :

ـ حسنا ٠ أعتقد والحالة هذه من حقك أن تقول٠٠٠ لكن ذلك يبدو معيبا ٠

خرج هاندي مجتازا المطبخ هابطا الدرجات عابراالفناء الى مستودع الغلال ٠ وما أن اجتاز باب مستودع الغلال حتى رمى طلقا بالبندقية ٠

قفز هاري من مكانه حاملا السلسلة المصنوعة لتقلد للجد برايس ٠

ـ لماذا أطلق هاندي النار ؟٠

وبعد أن تطلع دقيقة من النافذة قصد مستودع الغلال ٠ عندما قفل عائدا كان مبطيء الخطو وبدا حزينا ، لكن نظرة أخرى ارتسمت في نفس الوقت على محياه ٠ وشعر لبرهة بالارتياح ٠ كان عليه أن يبتسم لما حدث ٠ وقال في نفسه :

ـ ان هانديلن يضطر الى الرحيل بعدالآن ٠وأشرقت اساريره : فلو بقي هاندي على قيد الحياة فلن أتمكن من رؤيته ثانية ٠ واعتلى عتبة الدار وراح ينظر الى السلسلة مجددا ملتقطاحلقة هناوحلقة هناك يحملق بها ويتحسسها بأنامله ٠

وقال بصوت مرتفع :

ـ للجد برايس ان رغب أن يوارى في المقبرة ،لكن هاندي هنا سيدفن في الفناء الخلفي ٠

وتحسس بجمع اصابع يديه السلسلة ، ورفعها ليراها في نور الشمس ٠ ثم قال :

ـ أريد أن أبقيه بقربي ٠

ان أقبلت

شعر: محمد ابوشنب

من أين هذا الطيب والعبق
خطرت ، فقلبي بالهوى شعل
ماست ، فهل السحر في ترف
عيناك ، دنيا بالهوى اكتحلت
فالنجم من لألائهــا .. خجل ..
أشهى الســلافة ، ثغرها شغفا
والثــدي ، دغـدغه الصبى ، ولها
والقد ريح الوجـــد .. رنحه
أشهى العبادة لي هوى خضل
أسمى الهوى ، في الروح جذوته
أصفى الهوى ، والدمع لؤلؤه
فالنور من اشراقه .. قبس !
والروض من أنفاســه نفس

الروض مال اليه والأفق
والنفس من لذع الجوى مزق
والحسن وضـاء الســنى ألق
عيناي ، يستوطنهما الأرق
والطهر من سيمائهــا حنق
حلــم المنى ، ورضابها العتق
والخد يلثم .. حسنه الشفق
سكران من خمر الهوى طلق
النجم يرتع فيه .. والأفق
أشهى الهوى ، بالطيب منطلق
يهب الفتون ، صفاه والنمق
والنار من هذا اللظى .. حرق !!
والورد من أطيـابه .. عبق

دمشق ـ محمد أبو شنب

النجوم ... والوصل

قصة بقلم : أسامة برقدار

« قد يقول البعض أنه جبان ... وقد يقول البعض أنه شاذ ، أو يائس مجنون .. ولكن لربما يقول البعض أنه واحد من مخلفات الحرب ... »

لاول مرة أقرر شيئا هاما ، انتهى التفكير والتردد .. وأنا لأول مرة أقرر ... لقد غابت الشمس واختفت لتريح رأسها المثقل بأطماع وأنانية البشر ... دب الشلل في قدماي فرحت أشدهم شدا وبصعوبة اقتلعتهم من الارض .. انها تلتصق .. من التراب .. الى التراب..

لقد قررت لاول مرة في حياتي ... بضع حبات وينتهي كل شيء ..

أراقب ظلي السكران يتمايل من خمرة الالم ... لست أسمع سوى الثرثرة العالية ... الدنيا تبدو ذابلة .. لا .. انها تبدو خانقة مملة .. العرق يتصبب بغزارة من كل نقطة في جسمي .. كل شيء يتحول أمامي .. الجمال الى القبح .. الروعة الى المسخ .. البسمة الفاتنة الى الأنين الباكي .. الرعشة الانيقة الى الاضطراب المخيف .. الشدو الى النحيب .. كل شيء ينعكس أمامي .. وكأن اليوم هو ابتداء الخليقة .. الناس يثرثرون كالخنازير الجائعة .. أريد أن اتكلم .. ولكن كلماتي تخنقها العبرات .. أحس بالموت يقترب مني .. ولكن لا .. أريد أن أعيش .. لا أريد أن أموت .. اليوم .. كأنه يوم الخلق .. ولكن لا .. سأجعله يوم النهاية .. أنا لوحدى سأضع النهاية .. سأحطم هذا العالم من جذوره .. هذا العالم الذي أحببته في الماضي .. تلك المخلوقات الجميلة اللطيفة التي خلقت لتحب .. لتحيا بسعادة .. لتعمر الدنيا ..

لست أرى الا العيون وقد استسلمت لفلسفة الحيرة والانعدام .. ولست أحس الا بالهواء الذي تحدثه حافلات الترام وهي مسرعة .. فأغوص في أغوار عميقة .. كم أتمنى أن أقابل الله .. أمنية يائسة كغيرها .. لست أسمع الا ضحكات المارة .. لست أرى الا انظارهم المرتعشة كالذبيحة البريئة .. كالبنت البكر في ثورة الحيوان .. لقد أعطيتهم نادرة يتفكهون بها .. وحققت لهم حلمهم اذ كنت في منتصف الطريق وبوق سيارة يزعق كالغراب الوقح البغيض .. انتفضت في مكاني وأصابني رعب مفاجىء .. شعور الطير الذي لم تنبت قوادمه بعد وثعبان أسود لئيم يفغر فاه ليلتهمه .. الصغير يفلت مرة ومرات .. ولكنه يوقن أخيرا .. أنه لامحالة سيتناول السم مكرها .. ليس فداء للحكمة ولكن مجبرا تحت ارادة سوداء غليظة .. ارادة تنظم الادوار وعلى البشر أن يمثل .. ارادة يجب أن اتحداها .. أن احطمها ..

انني أشعر بالخوف .. انني ارتجف من البرد .. العرق يتصبب مني بغزارة .. لا .. لا أريد أن أموت .. انني جبان .. أجبن من أن أبتلع تلك الحبوب لينتهي الامر .. ولكن لا .. ليس هذه المرة .. لأول لحظة في حياتي أشعر بأنه يجب علي أن أبدو رجلا ..وبسهولة سينتهي الامر .. وأنا ، ..أنا الذي لم أومن بالابعاد والمساحات .. أنا الذي أردت أن أحطم أبعاد العالم لأبدعها في أروع صورة ..

الانوار الزاهية تشع .. الثياب الفاخرة وراء الزجاج تسيل لعاب السخفاء .. أشعر بالعدم يمزق أحشائي .. لماذا خلقت وقد فرض علي اسمي وديني وواقعي ؟.. لم السماء زرقاء باهتة .. ولم العشب أخضر يابس ؟. لا .. بالماضي كان الجمال سيد الكون ومقياس تحسس الفرد للاخلاق والحياة .. واليوم الشر يسيطر على الادمغة .. وفكرة الدمار تسود على تفكير أسياد العالم .. انتهى عهد التماثيل لآلهة الحب والخير والسحاب .. مات فادست .. وأبو لون وذابوا في اعماق التاريخ .. ولم تبق الا أقزام بطولات .. كلمات سهلة أعرف كيف أسكبها وأرتبها لأتبجح بها .. وأنا كانوا يقولون عني أنني فنان بروح .. أنا الذي أردت أن أصيغ انشودة الدهر من صوت الآلهة .. والنغم المقدس .. الى صوت الحصى اللامعة تحت المياه وهي تتدحرج .. أنا الذي لم أرد الا الحياة الفاضلة .. وأنا .. أنا الذي لم أفكر بأن أقضي حياتي خاضعا للطموح الاهوج المتمرد .. للشبق للمجد وللجسد ..

لأول مرة أبدو أمام نفسي عاريا تماما بدون أقنعة ولا براقع لاعرف حقيقتها .. لست أعرف الآن ماذا أريد وماذا أبتغي .. ولست أعرف سببا لحياتي ..

تلك هي العلبة .. أصابعي تتحسسها .. انها تحمل الموت .. فيها خلاصي .. ولكن لا .. لا أريد أن أموت .. أصابعي تضغط عليها وتفتتها .. انني لا أقوى على أن أرد لنفسي هيبتها ولو لمرة واحدة .. انني أبكي .. البرودة تلذع جسمي .. الشارع الآن ساكن ليس فيه أحد .. والساعة الثانية عشرة .. أين قضيت كل هذا الوقت .. الشوارع تتقيأ آخر الاقدام .. وها أنا في شارعنا .. كل شيء صامت .. والمدينة غاصت في العدم .. والظلمة مكتسحة الفضاء .. وأمام عيني تنتصب أبراج عالية .. لقد صمتت أجراسها المهترئة واختفى الرنين .. وراح الراهب ليقوم بصلب نفسه بنفسه أمام تمثال خشبي صغير عليه شمعة هزيلة .. واكليل الغار .. وجسد اليسوع .. وبعدها ليغط في نوم عميق يحلم ببطرس كيف كان يدعو للمسيح بعد أن أنكره وتجاهله ثلاث مرات .. ثلاث مرات .. أجل صمتت النواقيس المشنوقة في أبراج حمراء بعد أن تعبت من استجداء الفضيلة والتقوى من الناس .. بعد أن تعبت من الدعوة لمقايضة الاثم والخطيئة بالمغفرة والبركة والماء المقدس .. والاعتراف .. طريق الجنة ..

نام الراهب .. ونامت الراهبة .. الاول غارق في غرور التاريخ المظلم .. والثانية تستعيد ماضي خطاياها وتعيش مع المستقبل في سجن الاجراس المعلقة .. ومن بعيد .. للصدفة .. لأول مرة ألاحظ أن بيتنا يجاور الكنيسة .. بيتنا الذي يحتل في حجمه ثلاثة أرباع الشارع .. ويلتصق بالكنيسة .. الكنيسة التي كنت أحلم بأن أقضي يوما فيها .. مع شموعها .. وتراتيلها وأنغام الارغن .. هناك ينتصب بيتنا .. وأمامه كوخ الحارس الذي يقضي كل نوبته في رقاد عجيب وبقربه ضوء صغير لنادي القمار الذي كان يجاورنا من الناحية المقابلة .. النادي الذي كانت توقت حفلاته حسب توقيت أجراس ذلك الراهب .. وراح يلفظ انسانا بعد آخر وهو خارج وكأن الدنيا بجبالها على كتفيه .. ويستقبل آخرا ضاحكا وسخا بهيئته التي قضى ساعتين وهويصفف شعره بالزيت ويعطره بالعطر المبتذل ويضع القلم قرب المنديل في جيب سترته .. وبين هيئة انسان مهموم خاسر وآخر مسرور بالربح أحس بأن الماضي يتكلم .. ويعيد صور نفسه .. صور طفولتي التي تتالى في مخيلتي .. بيتنا المخرب هجر أمي .. معشوقة أبي والشقاق الدائم .. زجري بدون سبب .. ضربي وتعنيفي حتى ولو أردت أن ألهو والعب لوحدي بحرية في جدول ماء أو مداعبا احدى الزهور البرية .. الحرية التي منحوني اياها .. التي يذكروني بها دوما ويعتبرونها هبة منهم ومنة .. الخوف الذي لقنوني اياه .. المسكر يتناوله أبي امام عيني حتى أنه يرسلني وأنا صغير لابتاع له زجاجة العرق .. فأرى أنظار المخمورين الدائخة .. العيون الحمراء الزائفة .. فأخاف وأقرر أن لا ابتاعه مرة أخرى

ولكن يسمون ذلك عصيانا فيضربوني ويوبخوني لاذهب ثانية •• علموني الخمول والدعة •• تقبيل اليد واحترام من لايستحق الاحترام •• يلعب القمار أمامي •• أرى بنظري الساذج صور الورق •• أجد متعة في التلاعب بها •• قول أمي « الشاب اذا زنا •• كالسيف اذا انجلى » تشجيع على الفسق •• الوادي السحيق الذي كان يفصلني عن أمي وعن أبي •• كنت أتألم لوحدي وأبكي لوحدي وأشكي لنفسي •• ولم يكن هنالك صدر أم حنونة أسند رأسي اليه باكيا •• أجل باكيا •• ولم يكن هنالك ارشاد أب ونصحه الا بعد فوات الأوان ••

وأردت أن أكون رجلا بدونهم وظننت القمار والتدخين والخمرة ومحلات تعاطي البغاء والدعارة هي الرجولة •• رأيت التربية المشوهة التي لقنوني اياها •• واحتسيت الخمرة •• ولعبت القمار وأخذت كل شيء دفعة واحدة •• فأحسست بجسمي صغيرا غضا أخضر ليقاوم تلك الاشياء المرهقة فمرضت وكدت أنتهي •• ورحت أسجل رسوبا بعد رسوب في دراستي •• ولم أكن لآبه الى ذلك بل كنت منجذبا تماما الى ذلك المحيط الذي عشت فيه •• كنت أخاف من يوم الغد •• كما يخاف المحكوم بالاعدام من ساعة الموت •• كما يخاف الطير من السجن في قفص •• لأنني أردت أن أكون دائما حرا في حياتي •• حرا في التألم •• حرا في اعتناقي لأي شيء أريده •• وأصبحت حياتي كبائعة الهوى قبر تدفن فيه الشهوات •• ومعبد قذر تعمد فيه الآثام والخطايا •• كنت في النهاية أحس بالشر في نظراتي وأعمالي •• بالنتيجة الفاشلة التي كنت أجدها دائما أمامي •• وكم كنت أود أن أنام ليلة دون أن افكر بأي شيء يجعلني قريح الجفن وفريسة للاضطراب والسهاد •• وندمت ولكن الأمنية الاخيرة •• جاءت متأخرة •• وكان العبث •• لم اكن سوى فاشل •• فقد ظننت بأنني أعرف كل شيء في الدنيا وأنا في العشرين من عمري ••

ورحت أضع برامجا ومناهجا لحياتي التي يجب أن أبدأها من جديد ضارب صفحا عن ذلك الماضي والحاضر المرير •• ولكن لم أجد الا أن الزمن بنفسه لم يرد أن ينظر الي واعتبرني مخلوقا يعيش عالة على غيره فسار وتركني وحيدا أسير على طريق من الاشواك والطحالب وغيري يسير ويغني في حقل من الازاهير ••

ورأيت برامجي تتهدم وتنهار •• وما اتعس الانسان الذي ينحدر في حفرة ليس لها قرار ولا قاع •• وانتهيت بكوني جزء لايتجزأ من ذلك الواقع الفاسد •• وانحدرت •• وأصبحت حياتي كلها تضيع بين صور الورق •• ورنة الفيش وكؤوس الخمر •• كنت أضيع بين الآس والدام •• والسجائر •• ورائحة الكبريت ومعاقرة بنت الحان •• كنت أحس بجاذبية تجتذبني اليهم •• الى ذلك الحشاش سائق سيارة الشحن على طريق بغداد •• لا أزال اذكر منظره الوحشي وهو يلبس البيريه الزرقاء وعينيه الجاحظة الى الامام مرتكزة على تتوئين من الشحم المكتنز •• وكلما كانت الشرطة تداهمنا في حين أننا لم نعطي لذلك الحارس الرشوة كان يضحك ويقول : « الدنيا شوفيها _ لاتخافوا السجن •• مدرسة الرجال •• يعطي بعزلته فلسفة الحياة الصحيحة •• ولك يا جماعة ماحدا بيخسر غير يا اللي بتدعسه سيارة » ••

وذلك الجلاد الذي كان يقوم بتنفيذ عملية الشنق بالمحكومين بالاعدام •• وشاربيه الطويلين وشعره الاسود ولمعانه الشديد لكثافة الصباغ الاسود •• كتحفة من بقايا الاتراك •• وأخلاقه الوضيعة وكيف كان يتلاعب بالورق ويصففه حسبما يشاء لأكون خاسرا في النهاية لكل ما أملك ••

وذلك المختال بنفسه •• الذي كان يفخر بأنه تثقف في مدرسة الاخوة •• « الفرير » •• كان يشتري ليتر الويسكي ويجعل منه عشر ليترات بزيادة الماء والكحول ليبيعه الى الاندية الليلة الرخيصة •• ويدور في عقلي سؤال واحد كبير ••؟

لمن كنت اعيش ؟•• سؤال كثيرا مادار بخلدي •• وكثيرا ما حاولت الاجابة عليه وتداركت في مخيلتي معاني الخير •• والفضيلة •• التقوى والمثالية •• ولكنها

أفكار خيالية تبقى في الادمغة فقط •• ولم أكن أرى أي شيء •• بل كنت أتابع أقدامي الكسولة الا عن •• ارتياد الاندية •• الى صور الورق •• وعيوني تتابع الاصابع المرتجفة بعصبية وسرعة ثم تهدأ فأرسل زفرة محمومة • وأتابع الدور من جديد •• زوج من الآس : خمس ليرات • فأسمع من ذلك الحشاش : خمس وعشرون ليرة •• ثم أسمع : مئة ليرة •• وأخيرا زوج الآس يخسر يخسر •• ثلاث أربعات تربح ••

أجل ذلك كان ما أسميته حياتي •• متابعة الدور •• ورنة الفيش •• والسيجارة وشفتاي الجافتين وكأس الخمر الذي كان يتلاعب برأسي بحرية ويجعلني في النهاية •• نهاية الليل •• عاريا تماما من كل حساسية أو ميل نحو شعور بالندم ••

لم أكن احس بالجمال •• الجمال الحقيقي من النفس ووداعة الروح •• ولكن حب استنشاق العطر من جيد حسناء •• حب الشفة القرمزية المتدلية نحو الاسفل لأحرقها بقبلة تشبع ما بنفسي من شهوات حاقدة •• كنت أمسك بالفتاة بين يدي وبوحشية كنت أنهال عليها تقبيلا •• ثم أمسكها من شعرها وأشده بقوة وأهوي على شفتيها أقضمهم قضما •• ثم أقذفها باشمئزاز بالغ ولكن •• أعود •• وأي عودة ؟•• أطلب رضاها من جديد•• لأقضي ليلة •• وأنا أجذبها الى صدري بجنون وأضغط عليها بقوة •• ويتحول العنف كله حنو وأنس •• كنت بحاجة الى مخلوق أكون واثقا منه •• وليجعلني أليفا ورجلا •• ولكن بينما كنت أتقادم الحلم الزاهر الجميل اذ بهاتنهرني مطالبة اياي بثمن اللذة •• ثمن دقائق الهوى •• فتشوه الحلم •• ويموت في كل احساس •• الا • •الحقد والكراهية والوحشية •• وتنقطع كل صلة للوصل بيني وبين العالم •• فكأنني أنا بنفسي أولف وحدي عالما كله قذارة ••

لمن كنت أعيش ••؟ أجل لمن ؟•• كثيرا ما طرح علي هذا السؤال •• وكثيرا ما سألته لنفسي •• ماذا أريد من الحياة •• المستقبل •• العيشة السعيدة •• النجاح والمجد •• وتذكرت صور اصدقائي الذين كنت معهم •• تلك الشلة التي كانت تتظاهر وتقاوم الحديد والتعذيب في سبيل بلدها •• فقد كنا نظن أننا نحن •• نحن لوحدنا نقطة ارتكاز التاريخ •• ونحن محور الاحداث القومية•• وسار كل صديق في طريق •• أحدهم ضابط •• والثاني موظف •• والثالث يعمل في الصحافة •• ورابع احتقرته كثيرا •• تزوجت أخته ثريا من امراء الكويت فراح يعمل عنده براتب فاحش وليقبل يده صباح ومساء ولتلمس جبهته الارض قذارة لشدة الانحناء •• أجل تذكرتهم وقارنت نفسي بهم فقد أردت أن أصبح كاتبا •• ورغم كل الاهانات التي قوبلت بها من قولهم أن الأدب هو شغلة الفقراء والمنافقين •• فقد صممت على رأيي •• وكان ان كتاباتي تطايرت متمزقة مع الرياح•• أو مكدسة في خزانة قديمة للذكرى فقط ••

وذهبت الثروة التي كان يملكها والدي •• ضاعت في سباق خيل خاسر •• في سهرات صاخبة •• وكوم من أوراق العملة كطبق مازة أمام العاهرات •• وضعت أنا معهم ••

ومنى •• تلك الفاجرة •• التي احببتها •• التي أردت التقاطها من الطريق لأخرجها من الجحر المظلم العفن ولاظهرها للشمس •• التي هربت من البيت لاجلها ولكنها هجرتني ورمتني بعيدا •• لا أزال أذكر قالت لي « لقد كنت أريد أن أتزوجك فقط لاسخرك لمآربي وأغراضي الخاصة •• وهل صدقت أنني أحبك •• لنفسك ولروحك •• ان ما ستجنيه في شهرك مهما بلغ لن يكفيني ثمن كلسات ومناديل••وهل تظن أنني أستطيع البقاء عند انسان واحد الى الابد •• ولكن لربما كنت تشتهيني •• لذا فأنا أعرض عليك أن تقضي معي ليلة أنسيك فيها الحب وما يقال عنه من أكاذيب •• ها •• ما رأيك •• لقد كنت دائما معجبا بجسمي وأنني أتنقل كالفراشة الانيقة ما رأيك لو رقصت لك عارية •• اذهب فأنتم أولاد المدارس لايليق بكم الا غرام الحدائق وباقات الزهور •• ورسائل العطر والشرائط الحريرية ••!!

ونها •• فتاة المجتمع •• المتكبرة •• الارستقراطية •• التي كنت لا أعبأ لها ولا اكترث بها الى أن أوقعتني في شباكها • •فتجاهلتني وراحت تعمل في التعذيب والانتقام ••

والاخيرة •• فتاتي الاخيرة •• ما أجملها •• كانت أجمل من رأيت في حياتي •• وعندما التقيت بها أيقنت أنها من طراز النساء اللواتي يؤثرن في نفسي تأثيرا قويا •• فقد كان في هيأتها لون من العذوبة والرقة •• صغيرة •• وجهها مستطيل بعض الشيء كصور القديسين •• رأيتها وتذكرت قول شاعر ألماني « عذراء في الكنيسة •• فاتنة رشيقة متكبرة وراء النافذة •• ومغرية شيطانة اذا ماخلا بها أحد » •• أحببتها وأردت أن أضمها الي •• ولكن لم استطع أن أخبرها عن تلك العاطفة •• ومرة لم أعد استطيع كبت ذلك الحب •• فقررت اخبارها ووقفت أمامها وأنا أرتجف لأول مرة في حضرة فتاة •• وحضرت في مخيلتي مثلا افرنسيا سمعته « الحب يأتي في كل يوم بوجه جديد •• وأنت وجهي المنير الىالابد ••»وابتسمت لي •• وكأنها عارفة بما جال في خاطري •• ورأيت جمالها •• براءتها وطفولتها فلم استطع أن أقول شيئا •• ولم أدر ما أفعل وتصرفت بطريقة صبيانية »••

نعم •• كل ذلك كان بالماضي •• نعم •• لم يبق لي أي شيء •• وفعلا بارادة صادقة أردت أن أبدأ حياتي من جديد وكأنني مولود للحظة •• ولكن يشاء الناس أن يتجاهلوني ويجبروني على أن أعيش في الماضي •• لم يغفر لي أي انسان ذلك الخطأ •• وبحثت عن عمل •• ولكن •• ارادة الناس وغيرهم •• لم تسمع لي ولمتعطني فرصتي الثانية ••

أجل •• كل ذلك كان بالماضي •• السلاسل التي تقيدني سجينا في أزل الانسان •• لن أتساءل عنه •• فمهما حاولت ومهما فعلت فانه لن يتأثر ولن تتغير فيه أية حادثة ••

أخطأت •• ليس لمرة واحدة •• ماهو السبب لكي اخطيء •• أنا لم أولد بالفطرة شريرا عاقا فاسدا •• ماهو السبب في أن أخطيء نفسي الخطأ مرتين •• ماهو السبب الذي حرمني من العصا التي اتكيء عليها ولأنهض رجلا من جديد ••

ماهو السبب بأن أشوه الجمال •• وأحطم الامل والحلم •• ماهو السبب •• ذلك جواب •• سبب نهايتي •• لم أعد اعرف معنى لوجودي •• الشمس غربت •• وهو دوري الآن •• توقف الزمن •• وأنا ذاهب الى الغروب في رحلة فناء يائس •• جمد الزمن •• حياتي بدون معنى •• ليس لها موضوع •• ليس لها فكرة •• لست بطل حياتي •• أنا بوجهين •• بألف وجه •• عشت في ضياع مستمر •• أنا حقيقة هذا العصر •• واحد من مخلفات الحرب ••

هذا هو السبب •• عجزي عندما احاول معرفةحقيقتي •• وما اتعسها لحظة عندما يحتقر الانسان نفسه ••

السبب انني لم أعرف الفرحة التي يجب أن تسود على الارض •• المسرة والسعادة التي يجب أن يحيا في ظلها البشر الى الأبد •• تحويل الطبيعة وجمالها في قوس قزح من معادلات رياضية أوجدوها لتدمير الناس الى جنات ودوحات باسقة •• السبب في أنني لم أكن ولم يكن أو يعد باستطاعتي أن أحب العطر وانشقه من زهرةعذراء على شجرة تعطي غذاء الحياة •• بل من شعر بلاتيني مستعار ••

السبب في انني انسان تمر دوما في مخيلته السنين •• السنين التي قضاها من عاش ومات لهذا البلد •• الذين لفهم هذا التراب الخالد •• ولكنني قاصر ومهدد وشبه ميت ••

السبب في انني عرفت كل شيء ولكن متأخرا •• تماما كالفاكهة التي فات أوانها ••

السبب في انني انسان سيطر عليه الكسل واليأس والخريف •• والفجر الخافت الضئيل الشعاع لأنني لم أعد استطيع أن أعيش بحيوية ونشاط فليست في قلبي حرارة •• ولا بشر ••

عيوني جامدة جافة •• قاحلة كالصحراء •• كالابله

بتجويفين عميقين •• أريد أن أبكي •• أن أبكي بغزارة لأنفث مع الدموع بعض الأسى الذي يعتمل في صدري •• ولكن لا •• ابيضت عيناي لكثرة البكاء ولم أعد أرى أي شيء •• أريد أن أبكي •• ولكن ليس بدموع •• أريد دموعا من الموت •• من الدم بضع حبات وينتهي الامر بسهولة تماما •• لاول مرة أريد أن أبدو رجلا •• لاول مرة أريد أن أحترم نفسي •• مرة واحدة فقط •• أريد أن أكتب لاهلي •• أن أكتب لآخر مرة •• ولكن الكلمات فارغة كالفضيلة •• باردة كالطهارة •• لا •• ليس الآن •• انهم لم يهتموا قبل الآن بشخصي •• وما عساهم يفعلون في هذا الوقت •• انني أكاد اتصورهم « لا •• ليس من المعقول أن يقدم على هذا العمل •• لا أبدا •• » وأبي انني أعرف انه سيقول عني « لقد ارتاح » •• اذ أنه تماما كان يحس بمشاعري كلها ولكنه تجاهلها •• ولم يكلف نفسه عناء الهبوط من مستوى الأبوة الى ابنه •• متكبر •• متعجرف •• حطم كل روابط الاسرة بآرائه الرجعية القديمة •• دع الولد في بحر الحياة فان تعلم العوم فسينجو •• والا فالغرق••

وفتاتي الاخيرة بعيونها السوداء الفاحمة •• وكم أود أن أغط في سوادها اذ أنني كرهت النور •• ورموشها الرقيقة التي انشدتها أجمل قصيدة غزل •• آه •• لقد آلمتني كثيرا •• كنت احتقر نفسي من جرائها •• الحب يجعل الانسان ساميا •• ولكن حبي كان يعكس لي صورتي التي هربت دائما من شبحها •• فيزيد ويمعن في تحقيري ••

وعيونها •• عيونها بأحداقها المظلمة الرهيبة •• الاحداق السوداء •• التي كانت تحدث عن السحر •• عن الغروب •• ربما غروبي أنا •• عن نار الهوى بين الضلوع •• عن الوداع ••

وفتاتي الاخيرة •• الجميلة كالزهرة •• أجمل من أية زهرة •• حتى ولو كانت في الحدائق المعلقة •• ولكن لربما تحبني ••

الافكار تتزاحم في رأسي وخيالات باهتة بيضاء تتراقص أمام عيني •• كل المشاعر •• وكل الماضي بأشخاصه وحوادثه والحاضر الاسود وغموض المستقبل تتراكض الى مخيلتي •• ولكن لا •• انتهت لم أعد أحس بأي شيء •• ذهني صاف تماما •• لست أشعر بالأسى •• وبعذوبة أسمع صوت رفيقي القديم وهو يقول •• « ان حبك هو شلال عطر بهي •• شلال عظيم يعبر عن الحياة •• تفاءل •• أوليس الامل هو المعني الوحيد الذي يمكن أن يبقى أزليا يعبر عن الحياة •• » •• ماذا يفيد الامل •• والتفاؤل •• أنا لم أعش في مأساتي فحسب •• في صراعي الخاص فقط •• بل عشت في مأساة انسانية شاملة ••

وهل الامل غير الانانية البشعة •• وفتاتي لاتغادر خيالي •• فتاتي بشحوب الزهر في خديها •• وعيونها التي تنطق بالحب •• التي تطالبني بأن أعمل شيئا يرفعني الى القمة •• آه لو تنظر الي وتطلب لكنت أطير الى القمر وأجلبه لها هدية •• ولأجعل لها من النجوم عقدا لم تلبسه الآلهة •• النجوم •• ولكن أنا الآن في الوحل •• في الوحل •• لست أريد الا أن تتكسر السلاسل التي تقيدت بها •• وتحطمت الاغلال •• وفكت القيود وماتت اسطورة الحزن •• انني الآن أبكي لأول مرة •• أبكي بغزارة ••

ورأى بعض الناس انسانا يذهب الى أقرب صيدلية ليبتاع علبة من نوع معين •• ومن ثم أصبح الناس وعرفوا أنه جامد في مشرحة ••

بعضهم سيقول أنه جبان •• وبعضهم سيقول أنه يائس شاذ •• ولكن هل الانتحار الا تعبيرا عن تعلق مجنون بالحياة ••

دمشق ـ كلية الحقوق ـ اسامة بيرقدار

العدد الماضي في الميزان ـ المقالات

ثماني مقالات وردت في العدد الماضي من « الثقافة » بعضها يتسم بالدقة العلمية ونصاعة الاسلوب وجدية الهدف كمقال الاستاذ السيد حمد الرجيب حول «استثارة الوعي الاجتماعي » ومقال الاستاذ سليم بركات حول « التفكير الواقعي » . وواحدة من المقالات تقرأها ثلاث مرات فلا تشبع لأنها تغذي مافي نفسك من حب للحق ونفور من الانحراف هي مقالة رئيس التحرير التي وجهها الى الاديب الكبير يوسف السباعي بعنوان « مرحبا ياسيادة السكرتير العام » ففصح فيها عداء هذا الاديب الكبير للغة العربية والادب الحق ... ومقالة كتبها الاستاذ بسام كرد علي حول ذكرى ثورة الجزائر وكشف فيها عن تفاهة موقفنا العاطفي الثرثار من هذه الثورة الخارقة التي تتطلب بذلا وتضحية ومشاركة كلية في المسؤولية .. ومقالة رخوة مدلله عن الجزائر أيضا ، كتبها الاستاذ الشاعر خليل الخوري بصيغة « رسالة الى ديغول » يعلمه فيها الخير والشر ويدله على خطأه الشنيع في موقفه الاستعماري ازاء الجزائر ويدله أيضا على طريق الصواب ينبغي عليه اتباعه كي ينقذ شرفه وشرف فرنسا (؟!) فيقول لديغول مما يقول :

« لعلك تلاحظ أني لم أخاطبك منذ أول كلمة وجهتها اليك في رسالتي « يا سيدي » لأنني لا أسمح أن أخاطب انسانا ، واعترف أنه جلاد ، بكلمة يا سيدي .. ومع ذلك سأجعلك تفرح بسماعها من شاب عربي ..

ياسيد ..

لماذا تجعلني أكره هوغو ولا مارتين وشاتوبريان ؟

لماذا تحملني على الحقد على كل ماهو فرنسي ؟؟

مصيرنا نحن نقرره .. يبقى عليك أن تفهم ذلك ، أن ترحم فرنسة والفرنسيين ... أما الجزائر فستتدبر أمورها بنفسها .. ترى رسالتي ستوقظ فيك ضميرك الغافي ؟؟ تراها ستوقظ في نفسك الانسان البراءة .. تراك ستفهمها ؟ أرجو ذلك ، وان كنت يائسا أو شبه يائس ».

ولا ندري ان كان الاستاذ الخوري قد تلقى جوابا من السيد ديغول يعتذر فيه عن موقفه اللعين من الجزائر ويعتذر فيه عن خيبة الامل .

بقلم : شريف الراس

بقي في العدد مقالان يستحقان الوقوف عندهما :

● مكافحة الاعداء الثلاثة

بقلم : فطمة الشلق

والاعداء الثلاثة هم الفقر والجهل والمرض ، وكاتبة المقال مواطنة معروفة بخدماتها الاجتماعية ، وبطول باعها في شؤون الجمعيات الخيرية والنشاط الانساني النبيل . مما ساعدها على عرض صور خاطفة ، لكنها جارحة ورهيبة لبعض مآسي الفقراء الذين تزورهم في المناسبات وحملات الاحسان ، فتتعرف مشاكلهم ، وتدرك ضراوة الفقر في الفتك بمقوماتهم الانسانية ، وتفضح بعد ذلك واقع الجهل والمرض لدى هؤلاء ، ثم تنتهي بربط الاعداء الثلاثة ربطا تفاعليا،فالفقر والجهل والمرض وجوه لجريمة واحدة اسمها : اهمال المواطن وازدراؤه والاعراض عن انقاذه انقاذا جذريا .

على أن المواطنة فطمة الشلق تعرض هذه المشكلة الخطيرة بعقلية القرن التاسع عشر . ولا يستطيع القارىء أن يجد اختلافا في سمات مقالها هذا عن ملامح المقالات المماثلة التي كانت صحافتنا العربية تنشرها عن الفقر

والجهل والمرض منذ ثلاثين عاما أو أربعين عاما . فالعقلية واحدة . والمنحى الانساني الشفاف واحد . هناك فقر وجهل ومرض .. هناك « مآس واقعية ومن صميم الحياة الاجتماعية » ، هناك اطفال يستدرون العطف ورجال يستدرون الشفقة ، تعالوا ننظر الى كل منهم على حدة فنحل مشكلته لوحده ، تعالوا نطعم الجائعين قليلا من الحلوى . ونقدم للحافي حذاء نعرف مسبقا بأنه سيبيعه غدا ليأكل ، واياكم أن تربطوا مشكلة أي من هؤلاء الفقراء الجهلة المرضى باطار الواقع الاقتصادي وما ينعكس عنه من ايديولوجية اجتماعية وثقافية ولاهوتية . يكفي أن تصرخوا وتولولوا في وجه ظلم غامض كي ترضوا ضمائركم وتقدموا للمجتمع ما عليكم من فروض في الخدمات العامة ثم تظل المشكلة تتضخم وتتأزم - بسبب تعاميكم عن الحلول الجذرية وبفضل خدماتكم الانسانية المبتورة - وتظلون أنتم تصرخون وتولولون وتقدمون في سهرة ليلة ٢٧ رمضان من كل عام - ليلة القدر (؟!) - كساء كاملا لبعض الاطفال مع هدايا من السكاكر والحلوى .

أين عقلية عام ١٩٦٠ ؟

أين الاشتراكية العربية ؟

أين النظرة الشاملة لمشاكل المجتمع وفهمها ووعيها وتقديم الحلول الجذرية لها ؟

يبدو أن المواطنة فطمة الشلق قد باعت نفسها للاحسان .. ان قلبها الكبير العاطف الحنون على الفقراء والجهلاء والمرضى لم يخفق بعد بغير الاحسان .. أيها الاغنياء تكرموا وتفضلوا بالتنازل للعطف على الفقراء والشعور بمآسيهم « فكم من أطفال بؤساء يتألمون ويقاسون الآلام الشديدة وتنتهي حياتهم بمأساة مؤلمة محزنة لو شعر بها كل من له قلب رقيق أو ضمير حي وضحى قليلا من أجلهم لما حصلت النتائج المؤلمة ولما تداعى ركن من أركان المجتمع ... ولو دفع الطلاب الاغنياء في المدارس المبالغ التي يستطيعون دفعها لتمكنت المدارس عندئذ من اكساء الفقراء وتقديم وجبة غذاء الى الذين لايتوفر لديهم الغذاء الكامل في منازلهم ... لو تحرك الضمير الانساني في القادرين على المؤازرة ... لو » .

يا سلام ..

ياما أحلى الضمير الحي والقلب الرقيق وروح العطف على الذين ظلمهم أهل الضمير الحي فكتبوا عليهم اللعنة .. ياما أحلى ماري أنطوانيت الانيقة الساحرة وهي تأمر : « أطعموهم جاتوه » مشيرة بأنملها الناعم صوب المتظاهرين الملعونين بالفقر والجهل والمرض ..

ان المواطنة شلق ، التي كتبت مقالها بعقلية القرن التاسع عشر ، لم تذكر الاشتراكية ولو تلميحا . ولم يخطر على بالها - وهي التي تعايش الواقع لحظة لحظة - أن تنتبه الى الحلول الاشتراكية العربية التي يطرحها الواقع بكل ضخامته وصلابته منفذا وحيدا للخلاص .

وبعد فانني أعتقد بأن من أهم استمرار الاوضاع الحزينة التي عرضتها المواطنة فطمة الشلق ، لا أسلوبها في المعونة والبذل فحسب ، بل مقالها هذا ما شابهه .

● خمر الشباب

بقلم : فاضل السباعي

وبتعبير أكثر دقة نقول ان « خمر الشباب » رواية طويلة كتبها السيد صباح محيي الدين ، وما مقالة السيد فاضل السباعي الا نقدا لها تحت عنوان « كتب وقراء » . ونحن نريد هنا أن نناقش فاضل السباعي ، لا بوصفه ناقدا ، بل بوصفه نموذجا لفئة من النقاد لم يربط بينها مذهب أو اتجاه وانما ربط بينها أسلوب في النقد عجيب وهزيل ومتناقض يصل حدود التلاعب بالالفاظ لعبا بهلوانيا في كثير من الاحيان .

اذن فأنا أريد أن أناقش هذا الموقف في النقد واستخدم اسم ناقد « خمر الشباب » ومؤلفها كرمزين لا أكثر ... واليكم المقدمات :

١ - فاضل السباعي كاتب .. وصباح محيي الدين كاتب .

٢ - الاول صديق الثاني والعكس صحيح . وهما من مدينة واحدة .

٣ ـ الثاني كتب ما يعتقد أنه رواية اذن فعلى الاول أن يكتب تقريظا لهذه الرواية •

٤ ـ الثاني حائر بين أمرين : مقتضيات الصحبة والصداقة والتشجيع (١) من جهة وصدق الرأي في القيم الادبية من جهة أخرى •••

واليكم النتيجة :

ان مقتضيات الصحبة والصداقة والتشجيع دفعت السباعي لان يقرع طبول المديح حول نار صديقه محيي الدين ، بحيث يطلب الينا نحن القراء أن نعتقد بأن صباح محيي الدين « شاب ، كاتب ، نما فنه واتضحت شخصيته واستقام نفسه القصصي وأنه روائي موهوب يبشر بمستقبل طيب • وأن أهم ما يتسم به قلم صباح الخفة والرشاقة ، ثم الجرأة ••• لقد ولد في حلب روائي جديد » • ثم يقول سيادته : « ولست أريد أن أمضي في الثناء عليه وذكر مزاياه فهذا القدر يكفي » •

ولكن صدق الرأي في القيم الادبية هو ما يمنع السباعي من أن يعدد لنا مزايا أدب صديقه وحبيب قلبه • وهذا ما يجعله يلجلج في الكلام ويداور وينثر البهار ويقفز من نصيحة الى نصيحة ويرمي ملاحظة هنا ونقرة بسيطة على نقطة ضعف هناك حتى ينتهي المقال ، **والقارىء يسأل** نفسه : أيضحك الأخ على عقولنا ؟ أين مسؤولية الناقد ورصانته وصراحته يا أستاذ •

على أن ثالثة الاثافي في لهجة الاستاذية التي أحب السباعي أن يتمادى معها ـ رغم وهنه في النقد الذي بين أيدينا ـ فيقول : « اسمع يا صباح •• أنا مسرور لأنك قفزت الى الرواية بعد القصة • ولكن يلزمك مزيد من التأني في كتابة الرواية ومعالجتها » •• لاحظوا ميوعة هذا الموقف •• ألا يخجل الرجل ؟!•• ومن قبله كتب أحد الكاتبين مقالة نقد لرائعة تافهة من روائع أحد أصدقائه فاختتم نقده البهلواني قائلا : « سلاماتي اليك •• قابلني غدا في الهافانا ، فأنا متشوق لتقبيلك » •

(١) التشجيع هو الذي قضى على الأدب العربي المعاصر

ان دفتر « خمر الشباب » المحبر بكلمات مطبوعة ، ليس رواية ، ولا هو أدبي يستقيم لقراءة أو نقد • وهذا سر تناقض مقال فاضل السباعي وميوعته ومداعبته ذقون القراء •• وأعتقد أن هذه النماذج الكتابية ـ لا أقول الادبية ـ لن تبيد بقايا الذوق الادبي لدى هذه الامة المبتلاة فحسب ، بل سيدفع القراء للكفر بكل محاولة جدية صادقة •••

وكل رجائي أن يتفضل فاضل السباعي ، بعد اليوم ، بالتعرف على معاني المفردات العربية قبل أن يسيء استعمالها •

شريف الراس

الشعر

بقلم : محي الدين صبحي

من وحي المذود — جورج سالم سيف

مقطوعة مسيحية تعتمد على تصوير الجو كتمهيد لحادث ولادة السيد المسيح ، وقوام التصوير في هذه المقطوعة ألفاظ شعرية ناعمة : همس ، عسر ، أنغام • كما يقوم على تصوير الطبيعة الغافية البدائية ، والمقطوعة بجملها حسنة الواقع في نفس القارىء المتعجل •• ولكنها تخلو من الزخم الذي تفرضه المناقشة الفكرية لمبادىء السيد المسيح ، حتى لنكاد نظن أنها لمراهق غير واع للتجارب الانسانية • كما أن هناك مسألة اطلاق لقب « شعر » على هذا النوع من الكتابة ، وهو اتجاه سرت فيه حينا من الدهر ثم بدأ لي خطوه لاعتقادي بأن الشعر حسن لفظي مقسم بالزمن •• أما هذا النمط من الكتابة فهو « نثر فني » تفريقا له عن « النثر الصحافي » و « النثر العلمي » •

ضاع عمر الهوى — **محمد رشاد رويحة**

نفثات جميلة لشيخ بلغ الستين وما زال يصبو الى خضرة الربيع • الاسلوب جيد متسق ، لولا أن فيه بعض التعقيد: يصف الشاعر الربيع وغير الله

خلق الربيع لا يستطيع

لكن ذلك التردد بين الجسد والروح في الحب يجعل من القصيدة حديثا لنفس تتهاوى بين الرجاء واليأس • وحبذا لو كانت أفكاره أكثف وصوره أبرز لاستطاع أن يوضح لنا روح المأساة في هذا الموقف ، ولما ضاع بيت جميل مثل هذا البيت في غمار غيره :

ان روحي تكاد ترقص نشوى
في أديم يكاد يزوي حطاما

أغنية قلب — **علي حاج بكري**

تعاني هذه القصيدة مشكلة القصيدة السابقة من حيث اعطاء المشكلة اعطاء مباشرا دون اللجوء الى أساليب فنية أخرى • ان الحب ليس حبا وكفى ، بل هو جزء من الحياة النفسية وبمقدار مايستطيع الشاعر أن يدمجه في عناصر الحياة الاخرى بمقدار ما تخرج القصيدة مليئة بالحيوية الحقة بكل مافي الحياة من دفء ونفور وتهور وتردد •

ناحية أخرى أقولها للشاعر : هل فكرت بما يحمل شعرك من المعاني التي أبلاها طول الاستعمال ؟ وهل تظن أننا لانزال في عصر ما قبل علي محمود طه ، حتى تقول :

يا حبيبا ألق الطهر بعينيه تبدى
جاءني فاخضو ضرت نفسي رياحينا وورد

ألا ليت الشعراء يسائلون أنفسهم قبل أن ينشروا : هل أتينا بجديد ؟

ان هذه الملاحظة موجهة الى كل شعراء العدد الماضي •